حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٦ (عدد يناير – مارس ٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)

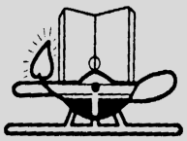

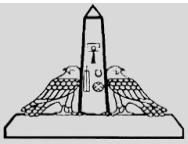

فلسفة جون سالسبورى السياسية
(دراسة نقدية)

عبير عبد القوى سجرى *

مدرس فلسفة العصور الوسطى المسيحية– قسم الدراسات الفلسفية – كلية الآداب – جامعة عين شمس

المستخلص

يعد جون سالسبورى Jhon of Salisbury من أبرز الشخصيات الفلسفية فى القرن الثانى عشر الميلادى بل وأغربها، وتميز بكونه كاتبًا لامعًا ذا حافظة حافلة بذكريات العصور القديمة،اليونانية والرومانية ولقد اختلفت الآراء إزاء قيمة سالسبورى الفكرية. وتكمن إشكالية هذه الدراسة فى الوقوف على ماهية فلسفة سالسبورى السياسية، ولقد تسنى لنا هذا من خلال تحليل ما سطره من كتابات سياسية وتقييمه.لقد كان المنهج التحليلى النقدى المقارن هو أنسب المناهج لمعالجة موضوع الدراسة. ولقد ادركنا حقيقة موقفه من ثلاث مشكلات،الأولى:العلاقة بين الكنيسة والدولة،والثانية:مفهوم الدولة وهيكلها،والثالثة:اغتيال الطاغية.ومن خلال هذا العرض أمكننا الجزم،بما لايدع مجالًا للشك، بأن فلسفة جون سالسبورى السياسية لم ترق لمستوى االمعالجات السياسية التى قدمها السابقون عليه ولا يمكن وصف فلسفة سالسبورى السياسية ب"معالجة سياسية".

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

المقدمة:

يعد جون سالسبورى Jhon of Salisbury من أبرز الشخصيات الفلسفية فى القرن الثانى عشر الميلادى بل وأغربها،ولقد أخذ عن السابقين عليه من فلاسفة العصر الوسيط أمثال ابيلارد وجلبير دى لابوريه وغليوم الكونشى. تميز بكونه كاتبًا لامعًا ذا حافظة حافلة بذكريات العصور القديمة،اليونانية والرومانية (١). وعرف سالسبوري بوصفه مؤرخًا وفيلسوفًا، فلقد كان أول مفكر في مجال الفلسفة وجميع فروع التعليم الأخرى(٢).

ومن الشائع أن سالسبورى قد ذاع صيته فى زمنه نتيجة لآرائه السياسية،وإن لم يكن معروفًا على نطاق واسع فى العالم الغربى،فبعض المؤلفات السياسية التى تحدثت عن الفكر السياسى فى القرن الثانى عشر الميلادى كرست القليل من الفقرات للحديث عن فلسفة سالسبورى،بينما تجاهل بعضها الآخر تلك الحقبة المهمة من الفلسفة الوسيطة ولم يأت على ذكرها بالمرة (٣).

ولقد توافر لدى سالسبورى كل ما يؤهله ليكون صاحب نزعة إنسانية في العصور الوسطى، فلديه أسلوب لاتينى غني ورشيق (٤). حيث كان يعيب على تدني مستوى الأساليب اللغوية التي أصابت اللسان اللاتيني في العصر الوسيط، لذا شن هجومًا علي الجماعة المناهضة لفن الخطابة فى ذلك الوقت . ويرى كوبلستون أن تركيز سالسبوري على أهمية اللغة وأساليبها في الكتابة هو ما جعل منه خير ما أنتج القرن الثاني عشر من فلاسفة في مجال الأنسانيات (٥).

ولقد اختلفت الآراء إزاء قيمة سالسبورى الفكرية،فصنفه بعضهم على أنه أول من استخدم منهجًا سياسيًا منظمًا فى العصور الوسطى اللاتينية(٦)،حيث وصفوه بأنه يمثل "أفضل زهرة"The finest flower للنهضة فى القرن الثانى عشر الميلادى(٧). ومن ناحية أخرى ذهب كذلك الفلاسفة إلى كون جون سالسبوري ليس مفكرًا ذا قيمة تذكر في عالم الفكر، وجل ما يمكن أن نعزوه إليه هو تأريخه لأحوال عصره بملابساته المختلفة، إذ إنه كتب تاريخًا للقرن الثاني عشر اقرب ما يكون إلى حديث الشائعات(٨).

وفى بحثنا هذا سوف نهتم بموضوع الفلسفة السياسية عند جون سالسبورى،ويرجع اختيارنا هذا الموضوع لسببين،أولهما:الشهرة الواسعة التى حازت عليها فلسفة جون السياسية ،فى مختلف العصور الفلسفية اللاحقة عليه.والآخر:تباين الآراء إزاء فلسفة سالسبورى السياسية،حيث وصف بعضهم هذه الفلسفة بأنها أول معالجة منهجية جريئة وصريحة لمختلف المشكلات السياسية فى العصور الوسطى (٩).بينما رأى بعضهم الآخر أن ما قدمه سالسبورى من فكر سياسى لا يتعدى كونه عرضًا للآراء السياسية السابقة عليه، دون أدنى محاولة منه لتقديم حل جذرى قطعى لأى مشكلة سياسية(١٠). وهنا تكمن إشكالية هذه الدراسة،التى سوف نحاول من خلالها إماطة اللثام عن ماهية فلسفة سالسبورى السياسية، وهذا لن يتسنى لنا إلا من خلال تحليل ما سطره من كتابات سياسية وتقييمه.ونرى أن المنهج التحليلى النقدى هو أنسب المناهج لمعالجة موضوع الدراسة.
وسنعرض فلسفة جون السياسية من خلال تناوله لثلاثة موضوعات :

أولا:العلاقة بين الكنيسة والدولة.
ثانياً:مفهوم الدولة وهيكلها.

ثالثاً:اغتيال الطاغية.

وقبل الشروع فى عرض فكر سالسبورى السياسية،نرى من الأهمية بمكان ضرورة الوقوف على أمرين،أولهما: الملامح العامة لحياة سالسبورى والأجواء السياسية المميزة لعصره، والآخر :مفهوم القانون عند سالسبورى.

الملامح العامة لحياة سالسبورى والأجواء السياسية المميزة لعصره:

فلقد ولد سالسبورى ما بين عامى ١١١٥-١١٢٠ فى سالسبور بانجلترا،وتوفى عام١١٨٠ فى شارتر بفرنسا.وجدير بالذكر أنه لا يعرف الكثير عن حياته الخاصة أو حياة عائلته(١١).وغادر موطنه سالسبورللدراسة فى باريس عام١١٣٠،حيث درس هناك على يد ألمع الاساتذة وأبرزهم ابيلارد(١٢).ودرس القانون وأتقنه، وكذلك اللاهوت فى مدرسة شارتر(١٣).

اختار جون العمل فى المجال السياسى وبرع فيه،وبعد أن نال قدرًا وافيًا من التدريب عاد إلى انجلترا فى عام ١١٥٤ لممارسة العمل السياسى فى بلاده،والتحق بالسلك البابوى للعمل أمين سر لرئيس أساقفة كانتربرى ثيوبالدTheobald ومن بعده خلفه توماس بيكيت Becket ، مما أثقل كاهله بواجبات سياسية ودبلوماسية عديدة (١٤).كما عاد عليه هذا العمل بالكثير من المتاعب والعناء.

ولاشك أن الاجواء الفكرية وكذا السياسية السائدة فى عصر سالسبورى أسهمت وبشكل جلى فى تشكيل مجمل آرائه وخاصة السياسية منها،وبعد وفاة البابا أدريانوس الرابع فى عام ١١٥٩، دخلت العلاقة بين الكنيسة والإمبراطورية فى منحنى جد خطير،حيث تولى حكم الإمبراطورية الملك هنرى الثانى،الذى فرض ضرائب على الكنيسة لتمويل الحرب على فرنسا،كما ارتكب كثيرًا من الانتهاكات التى كان من شأنها تقويض سلطان الكنيسة(١٥).

لم يقف جون مكتوف الأيدى إزاء ما تعرضت له الكنيسة من انتهاكات،وكان على قناعة تامة بأن مجتمع الحاشية هو المسئول عن تقويض الأسس الدينية والأخلاقية للإمبراطورية.فاضطر سالسبورى إلى الرد على ما اعتبره اعتداء مباشرًا على استقلال الكنيسة وقدسيتها،بل وتهديدا يضرب وبقوة فى مقومات المثل الاخلاقية والقيم الاجتماعية نتيجة لتجاوزات الامبراطور وحاشيته.وحين أدرك هنرى الثانى ما يضمره جون وبيكيت له، ما كان منه إلا أنه علق مهامها بوصفهما رجلى دين ونفاهما إلى خارج حدود البلاد(١٦).

ولقد كتب سالسبورى عدة مؤلفات،ولكن ثمة عملين يعدان من روائعه، كتبهما أثناء مزوالته لعمله بوصفه أمين سر للأساقفة(١٧) وهما:

ال Metalogican الجامع فى المنطق*، ويعد أطروحة فلسفية فى أربعة كتب،ذهب بعضهم إلى كون جون وجهها للدفاع عن تعليم الفنون الحرة فى مجملها،إيمانًا منه بقيمة التعليم وأثره فى الفرد والمجتمع،مؤكدًا أثره فى خلق حياة سعيدة وفاضلة(١٨)،كما دافع من خلال هذا المؤلف عن دراسة المنطق والفلسفة ضد مجموعة من الظلاميين.وتميزت هذه الأطروحة بكونها أول من عرف أوروبا بأورجانون أرسطو(١٩) .وبرغم ما تحقق لمؤلف الMetalogican من شهرة واسعة وكذلك انعكاساته القوية فى مجال التعليم آنذاك، إلا أنه لم يكن معروفًا بالقدر الكافى،إذ كان تداوله قاصرا على مثقفى ذاك العصر فقط، ولم يحظ بالشهرة الواسعة ذاتها التى حظى بها المؤلف الثانى لسالسبورى وهو ال Policraticus (٢٠).

Policraticus تعنى "رجل الدولة" وبعضهم يفضل ترجمتها بمعنى "السلطة السياسية"(٢١)، ويمكننا الجزم بأن هذا العمل كان السبب الرئيس فى شهرة سالسبورى،وظهر هذا المؤلف إلى النور فى عام ١١٥٩،وهو يعد بوتقة جمعت فيها خلاصة السنوات التى قضاها جون فى مجال العمل السياسى(٢٢).

ومن خلال النظرة الفاحصة لهذا العمل نجد فيه تأييدًا للاستنتاج القائل بأن إحياء فلسفة أرسطو لم يكن له تأثير مباشر فى خط الخطوط الرئيسة لفلسفة سالسبورى السياسية .ولعل الأهمية التى حاز عليها الPolicraticus مرجعها إلى سببين: أولهما:أنه يعد أول محاولة صريحة فى العصور الوسطى لدراسة الفلسفة السياسية دراسة شاملة ومنظمة. والآخر:أنه المؤلف الوحيد التى ألف فى إطار الفكر السياسى قبل إحياء فلسفة أرسطو(٢٣).

ويتألف هذا العمل من ثمانية كتب يناقش فيها جون جميع جوانب الحياة السياسية والأخلاقية(٢٤).فكان يطرح العديد من التساؤلات المتعلقة بالفلسفة السياسية مثل:طبيعة العدالة، ومفهوم السلطة،والحكومة الصالحة والنظام السياسى الأمثل.واهتم ايضا بتناول مجموعة من الموضوعات التى لا يعيرها المنظرون السياسيون اهتماما ،وذلك لبعدها عن السياسة،ومن بين تلك الموضوعات علم التنجيم، واستحضار الأرواح، واللاهوت،وكذا تعاليم المدارس الكلاسيكية للفلسفة(٢٥).

مفهوم القانون عند سالسبورى:

لقد فرق القدماء بين ثلاثة أنواع من القوانين:

١- **القانون طبيعى:**وهو ما فطر فى النفس من قوانين مستمدة من الطبيعة،وقيم استمدها الإنسان من الديانات.

٢- **القانون وضعى غير مكتوب:**وهو العرف ويتألف من مجموعة من الأعراف والتقاليد التى تتشكل وفق اتفاق جماعة ما عليها،لذا يختلف من جماعة لأخرى ومن بلد لآخر.

٣- **القانون وضعى مكتوب:**وهو القانون المدنى أو ما يعرف بالعقد الأجتماعى،ويحوى مجموعة من القواعد الملزمة لطرفى العقد الحاكم والمحكوم (٢٦).

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة نظريتين تتعلقان بالقانون،تمسك بهما جون عند عرض آرائه السياسية.أولهما:نظرية حرمة القانون،وهى نظرية سلم بها الإنسان فى المجتمعات البدائية والحضارات القديمة، كما سلم بها الحاكم والمحكوم فى العصور الوسطى. و كان المذهب السائد فى روما قديماً أن فقهاء القانون يشرعونه نيابة عن الشعب الذى كانوا يستمدون سلطتهم منه،لذلك كان لإرادة الحاكم فى روما قوة القانون .و لقد سادت نفس النظرية الرومانية فى القرون الوسطى ،ولم يكن بمقدور الحاكم أو الأمير تغيير القانون الطبيعى أو يخالف أمرًا من أوامره (٢٧).

النظرية الأخرى: نظرية ارتباط القانون بالدولة،التى تعد القانون رابطة قوية توحد بين جميع عناصر الدولة،وكلما حرصت الدولة على تطبيق القانون كان لذلك أثره فى استقرار الدولة (٢٨)،فالقانون هو رباط قوى ودائم يسرى فى جميع العلاقات الإنسانية بلا استثناء، بما فيها علاقة الحاكم بالمحكومين،وعلى ذلك فهو ملزم للملك والرعية على السواء. .لقد تمسك جون بهذه النظرية،وعد القانون رابطًا دائمًا يسرى فى جميع العلاقات

الإنسانية،بما فيها علاقة الحاكم بالمحكوم،ومن ثم هو ملزم للحاكم والرعية على حد سواء[٢٩].

ولقد وضع جون القانون في مكانة عليا فوق جميع الأشياء، وعده نبراسًا لكل الاشياء المادية،بل للجنس البشري كله، لذا وجب على الجميع الحفاظ على نصوصه وتشريعاته . يقول :" إن قوة القانون تمتد فوق كل الأشياء الإلهية والبشرية ... فهو الحاكم والدليل لكل الأشياء المادية وللبشر كذلك... لذا يجب على كل البشر العيش وفقًا للقانون وذلك في جسد سياسي واحد، ومن أجل كل هذا فالجميع مطالبون بالحفاظ على القانون."[٣٠]

أعجب سالسبورى بالقانون الطبيعى،ورأى وجوب احتذاء جميع القوانين الوضعية للقانون الطبيعى،بوصفه نموذجا يقتدى به. ولقد استقى جون أفكاره من نصوص الرواقية وشيشرون،وكذلك من خلال أفكار اوغسطين فى كتابه مدينة الله.وهذا ما أوضحه جون بجلاء فى كتاباته السياسية [٣١]. ولقد كان إحياء دراسة المصادر الكلاسيكية سمة مقبولة بوجه عام لنهضة القرن الثانى عشر [٣٢].

على أن المتفحص للكتاب الرابع من مؤلف سالسبورى "رجل الدولة" بوجه خاص،سيجده مشربًا بالأفكار الرواقية لشيشرون وخاصة كتابه "فى القوانين" " On the laws" [٣٣]،وهذا الكتاب، يعده بعض الباحثين أساس نظرية القانون الطبيعى فى أوروبا كلها [٣٤]. وقد ذهب شيشرون إلى أن القانون الطبيعى هو المعيار الأساسى لتشكيل القواسم المشتركة فى قوانين الدول [٣٥]، ولقد كان شيشرون معجبًا بالقوانين الرومانية وجعلها نصب عينيه عند الحديث عن القوانين الطبيعية،مؤكدًا أن القانون الطبيعى يتشابه إلى حد بعيد مع قوانين الرومان البشرية [٣٦].

ولقد ساوى شيشرون بين القانون الطبيعى وفكرة العدالة Justice،ولقد أخذ سالسبورى عنه هذه الفكرة،فأخذ العدالة بمعنى موازٍ للقانون الطبيعى [٣٧]. ولقد وصف القانون بعدة صفات،منها : كونه هبة من الله و مثال للعدالة،وشبيهًا بالإرادة الإلهية، وحارس السعادة و رابطة الاتحاد والتضامن بين الشعوب و القاعدة التى تحدد الواجبات و درع يقى من الرذائل المدمرة وعقوبة ضد أى تصرف سيئ، بل هو الله نفسه [٣٨].

كذلك يرى سالسبورى أن الحاكم ليس حرًا فى وضع القوانين التى قد تتعارض والقانون الطبيعى أو العداله أو الإجماع الشعبى،مؤكدًا أن هوية الحاكم تتحدد حسب اتفاق القوانين الوضعية مع القانون الطبيعى، فالحاكم الصالح يحرص على تطبيق القانون الطبيعى والعدالة،أما الحاكم الفاسد المستبد فيخرج عن أمانة أداء وظيفته ؛ولا يهتم بالقانون الطبيعى ويحكم وفق أهوائه [٣٩]. *

بعد أن بينا الأجواء العامة لحياة سالسبورى،وكذا مفهومه للقانون،سنعرض فيما يلى لجوهر فكره السياسى .وبادئين بتوضيح موقفه من الكنيسة ورجالها،ورأيه فى طبيعة العلاقة بين الكنيسة والدولة.

أولاً: مكانة الكنيسة وعلاقتها بالدولة:

يعلى سالسبورى من شأن الكنيسة ،ويجعلها فى مكانة عليا ؛ إذ أنها تمثل السلطة الدينية والروحية،فى مقابل السلطة الدنيوية والزمنية المنوطة بالدولة وممثليها.* ومع أنه من الصعوبة بمكان تحديد تصور جون لطبيعة العلاقة بين الكنيسة والدولة،إلا أن

الأمر المؤكد أنه لا يخضع الدولة للكنيسة،وكذلك لا يخضع الكنيسة للدولة،اذ يرى أن السلطة الروحية للكنيسة أعلى وأنبل من السلطة الدنيوية للأمير (٤٠).

ومن الواضح أن سالسبورى تأثر موقفه هذا من الكنيسة والدولة بموقف أوغسطين من الكنيسة،إذ يحث أوغسطين على وجوب محبة الكنيسة،ويحذر من خطورة الخروج عليها أو الانفصال عنها،.فإن كان الله هو الأب فإن الكنيسة هى الأم،والخروج عن الأم يثير غضب الأب ،و إذا أهينت الأم سينتقم الأب ممن أهانها،إذن ثمة علاقة وطيدة بين محبة الله ومحبة الكنيسة (٤١).

لم يعل سالسبورى من شأن الكنيسة وحدها،بل أجل وأعلى من شأن رجالها أيضًا،لأنهم رسل الله وناقلو سننه،لذا وجب توقيرهم واحترامهم .الأمر الذى دعاه إلى منحهم امتيازات عديدة لا تمنح لغيرهم،مستشهدًا بالعديد من نصوص الكتاب المقدس، لدعم موقفه من كهنة الكنيسة.يقول سالسبورى :"إن تكريم الله للأشخاص الموكل إليهم مهمة إدارة الشرائع السماويةDivine laws... مرجعه رعاية الله لهم... ومن هنا يقول الكتاب المقدس "أنا قلت إنكم آلهة"،ومرة أخرى "شفاه الكاهن حافظة للمعرفة ومن فمه يعرف القانون لأنه إله الجنود".....وأيضا جاء في الإنجيل :"من يسمع منكم،يسمع منى "،وفى موضع أخر "الذى يمسك،يمس حدقة عينى".(٤٢)

ويصور سالسبورى الأمير كوزير للكهنة،ويقوم بدور مكمل لدور الكنيسة،فإذا كان دور الكنيسة قاصرًا على الشئون الروحية فقط،فهى بحاجة إلى يد قوية لتثبيت أركان العدالة ودحر قوى الظلم،يد بإمكانها البطش وحمل السيف إذا تطلب الأمر،وهذه اليد تتمثل فى الأمير أو الحاكم .يقول سالسبورى :"الأمير هو وزير للكهنة وأقل شأناً منهم ... وهذا السيف يتلقاه من الكنيسة ... وتمنح للأميرسلطة الأكراه البدنى،مع الاحتفاظ لنفسها بسلطة على الامور الروحية من خلال أحبارها."(٤٣) ويقول أيضاً :"....كل منصب يُعنى بتنفيذ القوانين المقدسة،هو بحق منصب دينى،ولكنه ذو شأن أدنى .وهذا المنصب الدينى يختص بالمعاقبة على ارتكاب الجرائم ومن يقوم بهذا الدور شبيه بالجلاد (٤٤).

وكذلك أكد سالسبورى أن ما يمنح للكهنه وللأماكن المقدسة من امتيازات فمن الله وحده،وذلك وفق ما هو منصوص عليه فى القانون الإلهى،و من خلال العرف السائد The usageأيضا .وهذه حقيقة لا يمكن غض الطرف عنها. ولا يجوز لأحد الاعتداء على رجال الكنيسة ولا على الأماكن المقدسة،لأن الاعتداء على الكهنة يعد جرمًا لا بد من المعاقبة عليه .يقول سالسبورى:"من يستخدم العنف ضد أحد رجال الدين،يعاقب بلعنة لا منقذ منها سوى الحبر الرومانى فهو يملك القوة لمنح العقود لمحوهذه اللعنة."(٤٥)

وكذلك تتم ادانة أى عنف إزاء الأماكن المقدسة،على شاكلة دخولها بالقوة أوتدنيسها، ويعاقب بعقوبة الإعدام كل من يدان فى هذا هذه الجريمة أو من يعترف بها،لأن انتهاك حرمة الأماكن المقدسة ما هو إلا تمرد ضد الله نفسه. ويثنى جون على دور الدولة فى تعقب المذنبين بحق الكهنة أوأماكن العبادة،مؤكدًا ضرورة الأخذ بالثأر من هؤلاء المجرمين (٤٦).

إذن من البين أن جون يعلي من شأن الكنيسة على حساب الأمير وهو وإن كان يقدر سلطة الأمير فأنه يجعلها تالية لسلطة الكنيسة . وما يثير الدهشة هنا إشارة جون إلى تقبل الأمير لهذا الدور الأدني الذي تمنحه إياه الكنيسة . وحين يجتمع ورجال الكنيسة في مجلس ما لا يجرؤ على أن يتخذ لنفسه مكانة تفوق مكانة رجال الكنيسة. ويتعدى الأمر

ذلك بكثير، فالأمير ليس من حقه أن يفحص الاتهامات والشكاوى التي تقدم ضد ما يرتكبه الكهنة من انتهاكاته، إيمانًا منه بعدم اختصاصه لفحصها،وأن من يحكم ويفصل فيها هو الله وحده (٤٧).

ويستشهد سالسبورى فى هذا الصدد،بموقف الإمبراطور قسطنطين- أحد أباطرة الرومان- عندما كان يُستدعى لمجلس الكهنة فلم يكن ليتجاسر ويتخذ مكاناً في مقدمه المجلس، بل كان يكتفي بالجلوس في مقعد خلفي لإدراكه ماهية مكانته الأقل شأنًا من آباء الكنيسة . وفي ما يتعلق بالالتماسات التي كانت تقدم إليه ضد الكهنة، لم يستطع الإقدام على الاطلاع عليها إيماناً منه بأنه رجلٌ يخضع لحكم هؤلاء الكهنة، ولهذا فإن دراسة مثل هذه الالتماسات والشكاوى والبت فيها لا يكون إلا من قبل الله وحده (٤٨).

ولاغرو أن توماس هوبز كان له موقف مغاير تماما عن موقف سالسبورى فيما يتعلق بمكانة الكنيسة وكهنتها،حيث انتزع توماس من الكنيسة حقها فى إدارة الشئون الروحية للبلاد،وجعل كلتا السلطتين : الروحية والزمنية فى يد واحدة،وهى يد الحاكم المدنى المطلق فهو رئيس الدولة وأيضا رئيس الكنيسة (٤٩).وهو الكاهن الأعلى رتبة فى الدولة،وجميع الكهنة يستمدون منه حقهم في التعليم والتبشير وغيرها من المهام العائدة لمهمتهم،ويقتصر دورهم على معاونته فقط(٥٠) .

ثانياً:مفهوم الدولة وهيكلها:

استخدم سالسبورى روما *بوصفها نموذجًا يحتذى به فى عرض آرائه السياسية. ولقد اتبع كتابات الرومان علي نطاق واسع، خاصة أعمال شيشرون، حيث اطلع عليها واستفاد منها(٥١). ولقد تأثر شيشرون بأفلاطون كثيرا فى معالجته للفلسفة السياسية ؛ ورغم اختلافه معه في بعض النقاط إلا أنه كان يحترمه ويقدر اراءه خاصة تلك التي وردت في محاورة الجمهورية . والسؤال الأساسي الذي تمحور حوله فكر شيشرون السياسي هو : ما هو النظام الأمثل للحكم؟ وجدير بالذكر أن شيشرون كان معجبًا بنظام الحكم الروماني ويعده أفضل الانظمة لما يتسم به من واقعية (٥٢).

ويتحدث شيشرون عن ثلاثة أشكال للحكومات: الملكية، والأرستقراطية، والديموقراطية. يقول شيشرون:" عندما تكون السلطة على كل شيء في فرد واحد، يطلق على هذا الفرد الملك وعلى الدولة الملكية . وعندما تكون السلطة في يد مجموعة منتخبة من الناس، حينها نقول إن الدولة تحكم بإرادة الأرستقراطية . أما إذا كانت السلطة في يد الشعب فنطلق عليها الدولة الشعبية Popular ".(٥٣)

و يتناول سالسبورى بالتفصيل الحديث عن الدولة وهيكلها في الكتاب الخامس من مؤلفه "رجل الدولة"، مع ملاحظة أنه اعتمد على أسلوب المجاز لتوضيح وجهة نظره في الدولة وهيكلها التي تتكون منه، إذ شبهها بالجسم الإنساني. وهذا التشبيه كان مألوفًا في القرون الوسطى ولم يكن سالسبوري بمبتدع له (٥٤).

عرف سالسبورى الدولة بأنها:"هيئة عضوية متكاملة تعمل لصالح أعضائها"(٥٥)، كما عرفها وفقًا ل"بلوتارخ" Plutarch(*). بأنها :" هيئة معاونة وهبت الحياة من قبل الفضل الإلهي Divine favor،ذلك الفضل الذي يحثها على تحقق العدالة الأسمي التي تقودها قوة العقل المعتدل Moderating power of reason،ومثل هذه الأمور تزرع بداخلنا من خلال ممارسة الشعائر الدينية ." (٥٦)

ويمكن تصنيف هيكل الدولة عند سالسبوري إلى ثلاث طبقات موازية لأعضاء الجسم الأنساني .وكل طبقة حسب وظيفتها ودورها في المجتمع توازي جزءًا من الجسد

المؤهل لمثل هذه الوظيفة : أولها :طبقة الحكام وهى القائمة علي الدولة،ثانيها :طبقة رجال الحكومة، ثالثها : طبقة المحكومين من عامة الشعب [٥٧].

أما عن طبقة الحكام فيمثلها الأمير كرأس للدولة والراعي لها وحكام الأقاليم وهم ممثلو الأمير في مختلف أنحاء الدولة ومنفذي سياساته، وكذا القضاة وهم الساهرون على تحقيق العدالة في أركان الدولة وتقويض قوى الظلم والفساد،وأخيرا مجلس الشيوخ . ويقابل الأمير في جسم الانسان الرأس بوصفه المتحكم في البدن كله بجميع أعضائه بينما العينان والأذن واللسان تقابل حكام الأقاليم والقضاة .أما مجلس الشيوخ فمكانته في الدولة توازي مكانة القلب في الجسد[٥٨].يقول سالسبورى : "يتبوأ الأمر مكانة الرأس في جسد الدولة،وهو يخضع للرب وحده ... ومكان القلب يطابقه بمجلس الشيوخ،والذي يشرع جميع الأفعال الخيرة والشريرة .أما واجبات العين والأذن واللسان فيقوم بها القضاة وحكام المقاطعات ".[٥٩]

أما طبقة الحكومة ورجالها،فتناظر اليد في الجسد والأعضاء الداخلية والأجنحة والأجناب. فالجنود* ورجال الشرطة ومحصلو الضرائب وغيرهم هم الآيدي، والمسئولون الذين يشكلون الجهاز البيروقراطي للحكومة هم الأجهزه الداخلية للجسم، وتشكل الأجناب رجال الحاشية المحيطون بالأمير و المؤلف منهم بلاط قصره [٦٠]. يقول سالسبورى:"المسؤلون والجنود يوازون اليدين،وهؤلاء الذين يحيطون بالأمير دائما بمنزلة الأجناب،أما الضباط الماليون والمراقبون – وأنا لا اتكلم هنا عن القائمين على حراسة السجون ولكن أتحدث عن أولئك المنوط به حماية ختم الخزانة– فيمكن مقارنة هؤلاء بالمعدة والأمعاء التي تصبح مزدحمة نتيجة الطمع المفرط ... وبالتالي تولد الامراض المستعصية التي لا حصر لها، لذا فإن امتلاءها يهدد الجسد بأكمله بالدمار" .[٦١]

وتتألف الطبقة الثالثة من الفلاحين– حسبما يقول جون – ولكن المقصود بهم الحرفيون والتجار والفلاحون ويقابلهم في الجسم "القدم" [٦٢].وهم يمثلون عماد الدولة وتقوم على أعتاقهم الكثير من المسؤليات التي تحفظ للدولة كيانها .مؤكدًا إحتياج هؤلاء الدائم لرعاية كبار المسؤلين في الدولة، وكذا حماية رجال الحكومة .يقول سالسبوري: "الفلاحون يتطابقون مع القدم، وهم الملتصقون بالتربة دائما، وفي حاجة دائمة للروح وكذلك يستحقون مساعدة الجسم وحمايته،إذ ليس بإمكانهم المضي قدما بقوتهم الذاتية ...."[٦٣].

وفيما يلي عرض لبعض الأعضاء الممثلين لهيكل الدولة عند سالسبوري .

١-الأمير*:

كما ذكرنا آنفًا،يمثل الأمير أعلى سلطة فى الدولة،ويحاول جون تعريف المقصود بالأمير والفرق بينه وبين الطاغية،مشيرًا إلى أن ثمة فرقا رئيسيًا بينهما، بحسب الانصياع للقانون و العدالة من عدمه ؛ فالامير يحكم الناس وفق القانون الذي يعاونه في إدارة شئون الأمة بأكملها .أما الطاغية فهو لا يمتثل لقواعد القانون ويصنع لنفسه قوانينه الخاصة التي تتواءم مع تحقيق مصالحه الخاصة . يقول سالسبورى : "ثمة فرق واحد ورئيس بين الطاغية والأمير يتمثل في كون الأخير يحكم الناس وفق القانون وقواعده، وهو هنا لا يمثل نفسه بل هو خادم للناس . ومن يحكم الناس بحسب الفضيلة والقانون يكون طريقه ممهدًا لإدارة شئون الأمة وحمل أعبائها."[٦٤]

ويرى سالسبوري أن ثمة عدة سبل تؤهل الأمير لتولي منصبه ولخصها في ثلاثة :
الأول: أن الأمير يتولي مهام منصبه من خلال الإرادة الالهية التي تفضله على غيره وتمنحه هذه المباركة .
الثاني: يتبوأ الأمير منصبه –احيانا –من خلال ترشيح الكهنة ورجال الدين وتأييدهم.
الثالث : اتفاق أصوات الشعب بأكمله علي وضع الأمير في هذه المكانة. يقول سالسبورى:"إن الأمير يحتل هذه المكانة من قبل الحكم الإلهي الذي تضعه على قمة الدولة ويفضله عمن سواه ... وأحيانا بقرار من كهنته، ومره أخرى فهذه هي أصوات كل الشعب تتفق على وضع الحاكم في السلطة ."(٦٥)

ويشرع في تقديم دليل على كون الحاكم يختار من قبل الله .* وأن هذه المسالة لا يمكن أن تعد موروثا لأحد، حيث إن الميراث قد يكون متعلقًا بالأمور المادية :مثل العقارات والأراضي وغيرها . وقد يكون معنوياً :مثل المكانة العامة بين أفراد الشعب . وهذا كله يمكن توريثه، لكن ما لا يمكن توريثه هو حكم الشعب، إذ إنه مسألة تخص الله وحده ؛ فهو من يختار من يراه اهلًا للحكم دون غيره .ويدلل سالسبورى على ذلك بما حدث بين موسى وبنات أحد الحكام .بعد وفاة أبيهن حيث ذهبن إلى موسى مطالبن بميراث أبيهن، والله نفسه يشهد على عدالة مطلبهم . فميراث الإنسان للأرض والعقارات هو ما يترك لأقاربه ولو كان بالإمكان مكانته العامة أيضا . ولكن فيما يتعلق بحكم الشعب، فإنه يمنح لمن يختاره الله، لمن يضع وصايا الله نصب عينيه،من هومعروف ومألوف لموسى، رجل يكون على دراية تامة بالقانون.(٦٦)

ولقد استفاض سالسبورى في الحديث عن السبيل الأخير لتولي الأمير أو الحاكم لمنصبه،وهو إجماع أصوات الناس عليه، ولعل هذا يعكس وجهة نظر جون المتأثرة بأحداث عصره، لذا أكد علي ضرورة تعيين الأمير بالانتخاب إعلاءً لإرادة الشعب، ودلل على ّلك بنماذج عديدة من العهد القديم، وسنكتفي بعرض نموذج واحد منها . يقول سالسبوري :" إن موسي عندما أمر بتولي زمام أمور الناس، دعا كل المعبد كي يؤكد اختياره في وجودهم، بحيث لا يتبقى أي إنسان على وجه الارض بإمكانه التراجع عن هذه المسالة. وبالأحري كي لا توجد شبهة عدم يقين تحوم حول اختياره من شأنها أن تُسيء إلي اسمه . "(٦٧)

ولقد أفرد سالسبورى صفحات عديدة منPolicraticus للحديث عن واجبات الأمير ومهامه المنوطة به، يمكن إجمالها في ثلاثة واجبات :

أ- ضرورة احترام القانون والعدالة :

من أولي واجبات الأمير – من وجهة نظر جون– تقدير القانون والعمل وفق نصوصه، وعلى الرغم من أن الأمير ليس ملزمًا بموجب القانون، فإنه خادم للقانون والعدالة ولا بد أن يعمل طبقا لهذا المبدأ .ووفق التعريف الشائع فإن الأمير يمثل ظلًا لله متجسدًا على الأرض، ولأنه هو خليفة لله وشبيه له، لا بد أن يعمل حسب القانون الالهي، وأن يحرص على تطبيق العدالة بل يجب أن يكون محبًا لها أيضًا، وسلطة الأمير تعتمد في المقام الأول على العدل والقانون(٦٨) .

ولقد أخذ سالسبوري عن كل من شيشرون وأوغسطين حبه للعدالة .ومن المعلوم أن شيشرون كان متاثرًا –إلى حد بعيد – بمفهوم أفلاطون للعدالة، ولكنه على عكس أفلاطون لم يتعرض لهذه القضية بدءًا من الأفراد ثم الدولة كما فعل أفلاطون. ويعد شيشرون

العدالة من أهم الركائز التى ترتكز عليها الدولة، كيف أن الناس بطبيعتهم يبحثون عن العدالة (٦٩).

ولاغرو أن أوغسطين قد أعجب بتناول شيشرون لموضوع العدالة وأهميتها للدولة،وأشار إلى أن توافر العدالة فى الدولة يعود عليها بمنافع كثيرة،منها إيجاد نوع من الإنسجام والوحدة بين عناصر الدولة.كما أكد أوغسطين على أن فقدان العدل فى بلد ما قد يحوله إلى مملكة لصوص... تأتمر بأمر فرد واحد،وتعترف بعهد اجتماعى لتقسيم الغنائم (٧٠).

ولقد أكد سالسبورى أنه يجب على الأميرعدم إستخدام القسوة ضد رعاياه، بل يجب عليه معاملتهم بعدل حتى يحوذ محبتهم (٧١).ولقد أعرب المنظرون السياسيون من العصور الوسطي عن العلاقة السياسية التي يجب أن تكون بين الحاكم وشعبه، تتأسس علي أمرين :الحب والمحبة Charity. ولقد ظهر ذلك منذ أوغسطين مرورًا بسالسبوري، الذي ذهب إلي أن الحب ضروري بين الحاكم ورعاياه، وأنه مستمد من محبة الله، والحب يتطلب الإحترام،فلا وجود للحب بدون احترام (٧٢). ولعل هذا ما قصده شيشرون حين أشار إلى ضرورة أن يكون الحاكم "أبًا" لشعبه،ومسئولًا عنهم ويحميهم ويحفظهم من أى ضرر قد يلحق بهم (٧٣).

ولقد ركز ميكافيلى على تلك المسألة،وأن توافر المحبة بين الأمير وشعبه لأمر ضرورى لاستقرار البلاد.وسواء كان الأمير تبوأ منصبه بانتخاب الشعب،أو ضد الإرادة الشعبية،وجب على الأمير –مهما كلفه الأمر–الحفاظ على محبة الرعايا له،والحرص على نيل رضاهم .وأكد ميكافيلى أن ثمة وسائل عدة للحفاظ على محبة الشعب ورضاه،أهمها أن يكون حاكمًا عادلًا(٧٤).

كما ينبغي ان يكون على قناعة تامة بأن دوره كخادم للقانون وللعدالة لا ينتقص أبدا من كرامته، خاصة وأن خضوعه لهما يكون بموجب القانون الإلهي . يقول :" لا يجب على الأمراء أن ينتقص من كرامتهم الأميرية الإعتقاد بأن تشريعات عدالتهم لا تفضل على عدل الله، إذ هو العدالة الأبدية، وناموسه هو الإنصاف ." (٧٥)

واستنكر سالسبورى موقف من يذهبون إلى أن الأمير فى حل من الألتزام بالتشريعات المنصوص عليها بالقانون،وبإمكانهم القيام بأعمال جائرة فاسدة بغض النظر عن القانون .ففى رأى سالسبورى أن هذا ليس صائبًا،إذ يجب على الأمير تنفيذ القانون والعدالة،ليس خوفًا من العقوبات، ولكن حبًا فى العدالة،ورغبة فى تحقيق مصلحة الأمة،مضحيًا بمصلحته الخاصة."فالأمير هو وزير المصلحة العامة وخادم العدالة،ومسئول عن تحقيقها ."(٧٦)

وبإختصار نقول إن القانون يجعل من الأمير تارة سيفًا موجهًا ضد المفسدين ومخترقى القوانين.وتارة أخرى درعًا لحماية الضعفاء والأبرياء من أسهم الشر التى قد توجه إليهم،ومن ثم فإن سلطة الأمير محدودة وليست مطلقة بموجب القانون.يقول سالسبورى:"... هو درع لحماية الضعفاء ويقى الأبرياء من سهام الشر... وهو هنا لا يحمل سيفًا دون داع،فلا يلام على على سفك الدماء ولا يضحى رجل دم."(٧٧)

ب –تقديس الله والتواضع له:

يجب على الأمير تقديس الله ومحبة رعاياه،ويتبلور ذلك من خلال إخضاع إرادته للإرادة الإلهية وللارادة الجماعية لرعاياه.يجب على الأمير أن يوجد نوعًا من التوافق

التام بين إرادته والإرادة الإلهية.وحين يتحقق هذا التوافق لن يكون ثمة إرادة خاصة بالأمير،حيث ستصبح ارادته هى إرادة الله... وسيتصرف وفق العدل الإلهى،وعندها سيتم الانصياع له (٧٨) .

ولا بد أن ينطلق الأمير من شريعة الله،ويجعلها المنطلق الأساسى لتصرفاته ولحكمه على الأشياء.وليس عليه التعويل على العقل بمفرده،إذ إن العقل نفسه يعمل وفق القانون الإلهى.يقول جون :"يجب على الأمير دائما أن يضع شريعة الله قبل أى شىء آخر عند حكمه،قبل عقله وعينيه."(٧٩)

و يذهب جون إلى أبعد من ذلك،فيرى أن على الأمير تعلم الخوف من الله .فالحكمة تتطلب خشية الأمير لله، وأن يتواضع له،وأن يضع نفسه فى موضعها الصحيح،فهو فى المقام الأول خادم لله (٨٠). ولا يجب أن يقتصر خوف الأمير من الله على مجرد مخافته،بل من الضرورى ترجمة هذا الخوف إلى الخضوع التام لأوامر الله،لأن الله يستحق ذلك بوصفه أب . يقول جون :"دعه يعرف أن المسيح هو الله الذى لا يجب أن يظهر الخوف من جلاله فقط،بل يظهر له الحب والورع ايضا لأنه أب،ولأنه يستحق ذلك،ولا يجوز لأي من مخلوقاته إنكار هذه المحبة وتلك والمودة."(٨١)

ج- الأنضباط الذاتى:

يكمن الانضباط الذاتى للأمير فى حرصه على اقتناء صفة أساسية وهى الاعتدال،وذلك على جميع المستويات،فالفضيلة تتطلب هذا (٨٢)، فمثلا لايستخدم القوة المفرطة إزاء مخالفيه أو معارضيه،لأن استخدامه لها يحوله إلى طاغية،ويجعل منه نموذجًا اخلاقيًا سيئًا،قد يقتدى به أتباعه فينتشر الفساد وتسوء أحوال الدولة (٨٣).

والاعتدال يوجب على الأمير عقد مصالحة بين العدل من جهة، والرحمة من جهة أخرى،وذلك برغم الصعاب التى قد تجابهها هذه المصالحة .والعدل هو العمل وفق القانون،والرحمة قد تقتضى فعلًا يناقض القوانين،لذا وجب الاعتدال،فلا يجورالعدل على الرحمة .وكذلك لا ينتصر الأمير للرحمة على حساب العدل،ويحرص على المزج بين الاثنين، لأن هذا المزج قد يحقق المصلحة العامة للأمة كلها (٨٤).ولقد ذهب مكيافيللى إلى أهمية كون الأمير رحيمًا،ولكن يجب على الأمير عدم إساءة استخدام الرحمة،فيصبح لينًا غير مهاب،لذا لابد أن يتسم بالشدة أيضًا وخاصة فى بداية عهده بالولاية (٨٥).

ومن أهم مظاهر اعتدال الأمير القناعة وعدم الجشع،ومثلما ذكرنا فهو لا يمتلك إرادته الخاصة وهو أيضًا لا يملك ثروة،لأن المال مال الشعب ولا يستخدم إلا لصالح الشعب. يقول: " يجب على الأمير أن يكون عفيفًا وأن يتجنب الطمع Avarice."(٨٦)

ويعد التواضع Humbleمن أهم مظاهر الاعتدال في شخصية الأمير، ويجب أن يكون متواضعًا مع رعاياه، فالتواضع يجعل منه حاكمًا محبوبًا من قبل شعبه الذى يرفع من شأنه ويدافع عنه بكل ما أوتى من قوة، لذا وجب على الأمير أن يكون متواضعًا . لأن الكبرPride *يهدم ولا يبني،والتاريخ يزخر بقصص الحكام المتكبرين الذين سقطوا وزال حكمهم بسبب كبريائهم ، فالكبر رذيلة يجب تجنبها . ولهذا على الأمير مراعاة الاعتدال،فقد يتمادى في تجنب الكبر فيقع فريسة للازدراء من قبل شعبه مما يهدد زوال حكمه (٨٧).

٢- حكام الأقاليم :

تحدث جون عن حكام الأقاليم Provincial governors فى الكتاب الخامس من مؤلفه "رجل الدولة" .وحكام الأقاليم بمنزلة عين الأميروأذنه،إذ هم رجاله الممثلون له، ويطبقون

قواعد حكمه عبر مختلف أقاليم البلاد.ولقد ذهب سالسبورى إلى أن أولى الصفات التى يجب توافرها فى حاكم الأقليم هى أن يكون عادلًا،وأن يكون على دراية ومعرفة كاملة بما هو عادل وما هو ظالم،حتى يتسنى له إدارة شئون البلاد بعدالة وإنصاف Equity،فالجهل بالعدالة من شأنه أن يوقع الحاكم فى كوارث قد تهدد الإقليم وسكانه(٨٨).

ويعطى سالسبورى مثالا لتوضيح وجهة نظره فيقول :"إن الوفيات الشائعة لا يجب أن يسأل عنها الطبيب،ولكن إذا كانت تلك العواقب الوخيمة نتيجة جهله أو نقص فى مهاراته،لا بد أن يسأل عنها، وإذا كان على علم بالعلاج ورفض تطبيقه، فهو هنا مدان،لا بسبب جهله بل لأنه ارتكب خطأً متعمدًا."(٨٩) إذن يجب أن يمتلك الحاكم أدوات تمكنه من تطبيق العدالة.

ولا يكفى أن يكون الحاكم على دراية بالعدالة أو لديه أدوات لتحقيقها،فبالإضافة إلى ذلك لا بد أن تكون لديه إرادة وقوة كافية لإرساء دعائم العدل والإنصاف.،ارادة قوية تمكنه من اتخاذ جميع قراراته،وقوة وصلابة تعينه على تنفيذ تلك القرارات .وبدون هذه الإرادة وتلك القوة لن تكتمل أركان العدالة،بل أن افتقاده لها قد يوقعه فى أخطاء جسيمة(٩٠).

ولا ينبغى أن تغل يد الحاكم فى محاربة الظلم والفساد،فإذا غلت يده قد يتسبب ذلك فى حدوث أخطاء قد ينجم عنها العديد من الجرائم .ويرى جون أن الحاكم غير مسئول عن هذه الأخطاء أوالجرائم، بل يسأل عنها الأمير،لأنه لم يمنح الحاكم سلطة كافية لدحض الظلم والفساد ونشر العدالة. يقول سالسبورى:"... لو رغب الحاكم فى تحقيق العدالة، ولكن لا يمتلك سلطة كافية لذلك، فإن الخطأ لا يكون خطأه بل خطأ الأمير.

٣- القضاة :

حدد جون للقاضى مجموعة من الصفات الإيجابية،حيث يجب على كل قاض الاتسام بها للقيام بدوره المكلف به من قبل الدولة .وفى المقابل حدد صفة واحدة سلبية يحظر على القاضى امتلاكها . ولقد اجمل الصفات الايجابية على النحو الاتى :

يجب أن يكون عالمًا بالقانون وتشريعاته.

يجب أن يملك إرادة تميل بالفطرة نحو الخير .

يجب أن تكون لديه سلطة وافية لتنفيذ قراراته.

يجب أن يلتزم بالقسم الذى أقسمه للحفاظ على القوانين (٩٢).

وركز سالسبورى بشكل أساسى على ضرورة كون يد القاضى قوية ورادعة،للقضاء على كل أوجه الظلم والفساد وتقويض سواعد المفسدين،والحد من ارتكابهم للجرائم .ويقدم جون نموذجًا مما ورد فى سفر الحكمة *، يقول :"يرشدنا سفر الحكمة عن القاضى الحكيم... وأشار إلى أن القوة واجبة للقاضى:"لا تطمح لأن تكون قاضيا إلا إذا توافر لديك ما يكفى من القدرة والقوة لتحطيم قوى الظلم،خشية ان تجبن قبل مواجهة الأقوياء.....لاتكن جبانا من داخلك" (٩٣)

أما الصفة السلبية التى يجب على القاضى تجنبها،فهى الطمع أو الجشعAvarice،لأن الجشع وحده كفيل بأن يحيد القاضى عن ضرب العدالة،ويجعله يلهث وبكل السبل وراء أطماعه،مما قد يعوقه عن أداء دوره المنوط به،بل بالأحرى قد يوقعه فى حبائل الظلم، لذا وجب عليه الافتقار إليها مهما كانت المغريات. يقول سالسبورى:" إننى لم أر شيئا يرثى له أكثر من القضاة الجهلاء،الجاهلين بعلم القانون، المفتقرين للإرادة

الخيرة،نتيجة عشقهم للعطايا والمكافآت،وتسخير كل ما لديهم من قوى لخدمة الجشع أو من أجل التباهى."(٩٤)

ومن الملاحظ أن سالسبورى يمنح حكام الأقاليم والقضاة، بعض الصفات المشتركة،أبرزها امتلاك كل من الفئتين ما يلزم من القوة والقدرة لتفعيل القانون.والسؤال هو : هل يفهم من ذلك أن جون يطالب بإطلاق أيدى القضاة، ومنحهم سلطة مطلقة تعينهم على أداء مهام مناصبهم؟!

يجيب سالسبورى عن هذا التساؤل، إذ نجده وبرغم رفضه إغلال ايدى من يتبوؤون تلك المناصب،فإنه يستنكر وبشدة منحهم أى قوة أو سلطة مطلقة،مبررًا ذلك بأن منحهم سلطة مطلقة لا مرجعية فيها قد يحول بينهم وبين تحقيق الأهداف المرجوة من وجودهم فى مناصبهم. فضلًا عن أن السماح لهم بتملك سلطة غير محدودة يعد أمرًا خاطئًا من جهتين :إما جهلًا بالقوانين،أو ازدراء للقانون نفسه،وذلك لأن القانون نفسه لا ينص على منح حاكم الإقليم أو القاضى لمثل هذه السلطة الكاملة والدائمة،وبوجه خاص لا يجب منح القضاه سلطة قضائية مطلقة (٩٥).ولعل موقف جون هذا يجعله متسقا مع نفسه،فقد رفض منح الأمير،وهو رأس الدولة،مثل هذه السلطة المطلقة،وجعلها مقيدة بالقانون والكتاب المقدس،فكيف إذن يقرها لحاكم الإقليم أو للقاضى؟!

٤- مجلس الشيوخ:

أعطى سالسبورى مجلس الشيوخ Senateاهتمامًا خاصًا،لما يراه من أن مكانته فى الدولة توازى مكانة القلب للجسد.و يستند جون إلى المصادر الرومانية في توصيف دور مجلس الشيوخ كقلب للدولة (٩٦).الذى يتألف من مجموعة من المسئولين ذوى الأعمار الكبيرة، ولعل هذا واضح من خلال المسمى نفسه، فمصطلح Senate مشتق من المصطلح اللاتينى Senectus الذى يعنى " العمر الكبير".وتكمن قوة هذه المجموعة فى كونها تمثل الشعب وتعبر عنه.وإن كان للدولة أية إنجازات فهى لا تضاهى مجلس الشيوخ،إذ يعد أكثر إنجازات الدولة نفعًا وشهرة(٩٧).

وإن مجلس الشيوخ هو مصدر الحكمة في الجسد السياسي، وهو من يصنع القرارات الحكيمة ويمد الجسد السياسي بشريان الحياة . ويذهب الرومان إلى أن اعضاء هذا المجلس يعرفون الفن الحقيقي للحياة (٩٨).

ويوضح سالسبورى أن اعضاء مجلس الشيوخ كانوا يعملون فيما سبق فى وظائف الدولة المختلفة،وكانت تتم الاستفادة منهم جسديا لأن أعمارهم كانت صغيرة وأجسامهم يافعة. وحين بلغوا من العمر أرذله تمت الاستفادة منهم على نحو مختلف،إذ تم التعويل على عقولهم الراجحة،وعلى مقدار الخبرات التى اكتسبوها خلال سنين حياتهم الطويلة. يقول :"... لا يوجد ما هو أكثر نبلًا من الفرد الذى ينتهى من أداء مهام وظيفته العادية بأمانة،ثم ينتقل إلى واجب إعطاء المشورة وممارسة الحكم."(٩٩)

ومن أكثر السمات التى يجب توافرها فى عضو مجلس الشيوخ،هو أن يكون فاضلًا،ومحبًا للعدالة،وأن يستطيع التمييز بين ما هو ظالم وما هو عادل،وأن يأتى بأفعال تتواءم مع ذلك(١٠٠).وقد يتمكن من الإتيان بالأفعال المتوافقة مع العدالة،لما يمتلك من عقل راجح وحكيم،يساعده فى ممارسة فن الحياة بأكملها(١٠١).

يتضح مما سبق أن سالسبورى يعرض نموذجًا مثاليًا لمجلس الشيوخ، كما سبق وفعل أثناء عرضه لبقية العناصر المكونة الدولة،متبعًا نفس المسار الذى اتبعه الكتاب الرومان، وكذلك أوغسطين، من اتخاذ شكل الدولة الرومانية نموذجًا .والغريب فى الأمر موقف

جون المتناقض إزاء روما،من حيث أنه يمتدحها بوصفها نموذجًا للدولة المثلى،فى الوقت الذى يرى أنها معقل للجشع والطمع [١٠٢].

رابعا: الطاغيةTyrant:

تعد قضية الحاكم الطاغية أكثر القضايا السياسية شيوعًا فى عصر سالسبورى،ولقد منحها سالسبورى اهتمامًا كبيرًا فى مؤلفه"رجل الدولة" .والسؤال الذى كان يطرح نفسه بقوة فى تلك الفترة، هو عن كيفية التعامل مع الحاكم الطاغية:هل يتم الرضوخ له أم لابد من سبيل للتخلص منه؟.وسنحاول فيما يلى كشف النقاب عن إجابة سالسبورى عن هذا التساؤل.

الطاغية،من حيث اللغة، تعنى المستبد الظالم الجبار،أما من حيث الاصطلاح السياسى تعنى :تصرف فرد او جماعة فى حقوق الغير،بدون مراعاة لشىء سوى مصالحه الخاصة،دون خوف أو ريبة[١٠٣]. ولقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة فى بلاد اليونان القديمة،حيث أراد اليونانيون إطلاقه على أى ملك ظالم [١٠٤].وثمة عدة أشكال للحكومة المستبدة وهى:

-حكومة الحاكم الفرد المطلق الذى تبوأ الحكم بالغلبة أو بالوراثة.

-حكومة الحاكم الفرد المنتخب.

-حكومة الجمع ولوكان منتخبًا.

-الحكومة الدستورية التى تستقل فيها كل القوى عن غيرها:قوة التشريع،عن قوة التنفيذ،عن قوة المراقبة [١٠٥].

ويعرف سالسبورى الطاغية بأنه يحط من شأن شعبه إلى مستوى العبودية slaveryوإذا كان يشبه الأمير بالإله،فإنه يصف الطاغية بالعدو لشعبه و الشيطان الذى لا يرى سوى مصلحته الخاصة وصلاحه غاضًا الطرف عن المصلحة العامة[١٠٦]. يقول جون :"الطاغية هو من يضطهد شعبه بأكمله من خلال حكم يستند إلى القوة."[١٠٧] ويقول أيضًا: الطغيان هو إساءة استعمال السلطة الموكلة للإنسان من قبل الله [١٠٨]." ولقد تأثر سالسبورى بالصورة التى قدمها شيشرون لوصف الطاغية،إذ قال:"لا يمكن تصور حيوان أكثر فظاعة وغباء،أو أكثر كرهًا للآلهة والبشر على حد سواء منه،وبرغم أنه يظهر فى صورة بشرية، فإنه وبشخصيته المتوحشة يتفوق على أكثر الحيوانات ضراوة."[١٠٩]

١- أساس الطغيان*:

ذهب سالسبورى إلى أنه ثمة سببين أساسيين للطغيان والاستبداد هما:

أ- الطموحAmbition ب- الظلم Iniquity

ويعد الطموح أحد الرذائل،والينبوع الذى تنبع منه كل الشرور،ويتحكم فى تحويل مسارات البشر عن السعادة الحقيقية. وهذا الينبوع هو مصدر الطمعCupidity .ويستعين سالسبورى بتعريف اوغسطين للطمع فيقول:"ويتم تعريفه بناء على سلطة الآباء، بأنه حب الانسان للأشياء المحروم منها رغما عنه"[١١٠]

ولقد ربط سالسبوري بين الطمع والحماقة Folly، فالحماقة رفيق للطمع،فالإنسان حين يطمع في أشياء ليست من حقه ولا يسعه الاحتفاظ بها،فإن هذا يعد ضربًا من ضروب الحماقة .وحين يجهل الاشياء التي وجب عليه معرفتها فإن هذه حماقة. وعندما يصبو إلى غايات ذات قيمة متدنية على حساب تلك الغايات الأسمى، فتلك حماقة يقول سالسبورى :"...من كان يفضل النفايات التي هي أقل شأنًا علي تلك ذات القيمة الأكبر،

فإنه يتصرف بحماقة إذا كان يسعى وراء الرذائل، فإنه اختار ما هو أسوأ على حساب ما هو أفضل".(١١١)

وإذا كان الطموح هو مصدر الطمع والجشع، فإن هذا الطموح الذي هو أساس الاستبداد والطغيان بدوره ينبع من الكبرياء Pride ليشبع شهوة السلطة والمجد .إذ نجد الإنسان يجهل دوره الذي يخصه ويرفض أن يتحمل نير Yoke الطاعة الذي يدين به، ويطمح إلى نوع من الحرية الزائفة، ويتخيل –عبثًا –أن بإمكانه فعل ما يحلو له وقتما شاء دون ريبة، كما أنه يعلو فوق أي حساب أو معاقبة، فيضحى مثل الإله (١١٢).

وقد أكد سالسبورى أن الطموح ليس وحده مصدر الطغيان، بل ذهب – في الكتاب الثامن من Policratius - إلى أن الظلم أيضًا يمثل الجذر الذي ينشأ عنه الطغيان، الذى شبهه بشجرة فاسدة وجب اقتلاعها .فإن لم ينجم الطغيان عن الشر لعم السلام العالم إلى الأبد . يقول سالسبوري :"إن الظلم هو أصل الطغيان، وينبع من جذور سامة، بل هو شجرة تنبت نبتة مدمرة، لذا وجب اجتثاثها بشتي الوسائل . وإن لم يكن الطغيان ناجمًا عن الظلم لعم الوفاق الدائم والسلام كل شعوب الأرض للأبد، ولم يفكر في توسيع حدوده والجور على غيره ...وذلك وفقًا لسلطة الأب أوغسطين."(١١٣)

على كل حال أكد سالسبورى على دور الطغيان في تفشي الفساد و انتشار الحروب بين الأمم والممالك، لذا رأى أنه من الأهمية بمكان القضاء عليه لعقد مهادنة بين الأمم لتصبح مثل أفراد الأسره الواحدة،فرغم اختلافها تظل على وفاق.على أن سالسبورى،فى عين الوقت يتجه وجهة أخرى بحديثه،مؤكدًا أنه بمجرد توافر أجواء السلم فى الممالك لن يكون ثمة ممالك علي
الاطلاق،لأن هذه الممالك – كما ذهب المؤرخؤن القدماء– أسست على الظلم . فإذا زال سبب نشأتها زالت هي أيضًا (١١٤).

٢-أشكال الطغيان:

قد يبدو مما سبق أن جون يربط بين الطغيان من جهة، والملوك والامراء من جهة أخرى.وأنه يقصره على شخص الحاكم فقط .وهذا ليس صحيحا،إذ يستنكر سالسبورى ذلك بقوله:"إن الطغيان ليس قاصرًا على الأمراء وحدهم،وكل فرد يسىء استخام السلطة المكلف بها،فهو طاغية. " (١١٥) ويحدد ثلاثة أشكال للطغيان : طغيان عامة الناس وطغيان يرتدى عباءة الدين و طغيان الملوك والأمراء(١١٦).

الشكل الأول: وهو طغيان عامة الناس،حيث يندر وجود إنسان غير ملوث بالطغيان وبراثنه، بالأحرى يمكن القول إن مثل هذا الانسان ليس له وجود على الإطلاق.فمن ذا الذى لا يرغب فى ممارسة سلطة على غيره؟ من الذى يتعامل مع غيره كما يحب أن يعامل؟ من يكتفى بما لديه من سلطات دون الطمع فى سلطات الأخرين؟ فالعديد من الباحثين عن السلطة يبحثون لأنفسهم عن سبيل للارتقاء بسلطاتهم بغض النظر عن نوعية هذا السبيل(١١٧).

الشكل الثانى :طغيان يرتدى عباءة الدين و يقصر بعضهم هذا الشكل من الطغيان على الملوك والأمراء، وخاصة فى فترة العصور الوسطى المسيحية،فهؤلاء الملوك والأمراء يرتدون عباءة الدين،ويدعون أنهم يستمدون سلطانهم من الله،لتبرير سلطتهم المطلقة،ويمكنهم من إطلاق يدهم فى إدارة شئون الرعية .وهذا النمط من الحكم يضمن

للحاكم ثبات أركان حكمه،فمهما مارس من طغيان تجاه شعبه،يظل هذا الشعب يقدسه، وذلك على غرار ما كان يحدث فى بلدان الشرق القديم(١١٨).

أما سالسبورى فلا يقصد به شخص الحاكم،بل يخص به بعض رجال الدين؛فسطوة القانون والدور الرقابى للمؤسسات الدينية لن يخمد نار الطموح بشكل كلى،وبالتالى حين لايجرؤ بعضهم على إظهار طموحه وطمعه خشية العقاب،سرعان ما يتحسس لنفسه مدخلًا آخر من خلال الاحتيال.الذى يمارسه على كل من حوله،مرتديًا ثوب الفضيلة وهو أبعد مايكون عنها . حيث يعيش فى عالم البشر وهو ليس مثلهم،ويتشبه بالملائكة فى تصرفاتهم،ويتحاورون مع السماء،ويؤدون صلواتهم بصوت جهير لكى يوقروا(١١٩).

هذا التظاهر الزائف بالتدين يمكنهم من ممارسة الطغيان بكل يسر وسلام،فلن يجرؤ أحد على وصمهم بالطغيان وهم رجال الدين الورعون الأتقياء.

الشكل الثالث،وهو طغيان الملوك والأمراء،لقد ناقشه جون بالتفصيل وسنحاول فيما يأتى توضيح ذلك.

٣-موقف سالسبورى من الحاكم الطاغية:

حقيقة الأمر أن موقف سالسبورى من هذه المسألة يشوبه بعض الالتباس،حيث نجده تارة يتحدث عن الطغاة بوصفهم خلفاء لله ومعينين من قبله،وأنهم رغم طغيانهم يتسم حكمهم بكونه حكمًا صالحًا.وتارة أخرى ينادى بوجوب اغتيالهم أو بالأحرى ذبحهم،أيا ما كانت اليد المنفذة لذلك.

ولعل هذا ما أوقع بعض المفكرين فى براثن الشك حول ماهية موقف سالسبورى إزاء مسألة "اغتيال الطاغية".إذ ارتأى البعض أن سالسبورى لم يقصد حرفيًا اغتيال الطاغية، بينما أقر بعضهم الآخر مسعى جون الجاد لتأكيد وجوب قتل الطاغية(١٢٠). ولقد قدم كل من الفريقين مبرراته لإثبات وجهة نظره.والمدهش أنه برغم تباين وجهتى النظر،فإنهم جميعًا قدموا مبرراتهم من كتابات سالسبورى نفسه.ولعل مرجع ذلك إلى ما أحاط موقف جون من غموض والتباس .وسنحاول فيما يأتى إماطة اللثام عن حقيقة موقف سالسبورى من الحاكم الطاغية وذلك من خلال كتاباته.

أ- الطغاة خلفاء لله :

-الطاغية وزيرا لله Minister of God :

يقر سالسبورى بأن التاريخ يزخر بالعديد من الأمثلة للطغاة،بل ثمة سلسلة و قائمة كبيرة للطغاة عبر مراحل التاريخ المختلفة. *وتجنبا للإطناب والإطالة،اكتفى جون بالاستشهاد ببعض النماذج،معتمدًا بشكل أساسى على ماورد فى الكتاب المقدس (١٢١).

لا ينكر سالسبورى كون الطغاة وزراء لله وصورة له فى الأرض، وأن الله يمنحهم هذه المكانة السامية و السلطة الكاملة على الأجساد والنفوس، ومهما مارس الملك ألوانًا من الطغيان علي رعاياه، يظل حائزا على شرف كونه ملكًا يعامل معاملة تليق بكونه وزيرًا لله(١٢٢).

كذلك يشير سالسبورى إلى أن تولي الطغاة حكم الشعوب،يكون بمنزلة عقاب من الله لهم عما ارتكبوه من خطايا وانتهاكات . ويستشهد بنماذج من العهد القديم تؤيد زعمه هذا، فيوضح كيف تولى أمر بني إسرئيل:- بعد موسي عليه السلام – العديد من الحكام، قلة منهم أخيار والكثرة منهم أشرار .يقول سالسبوري: "وفي نهاية المطاف ونتيجة لغضب الله، منحوا من الله ملوكًا بعضهم أخياروالعديد كانوا أشرارًا ".(١٢٣)

الطاغية أمير الله Lord of god :

ونتيجة لما مارسه هؤلاء الحكام من فساد وطغيان، أصبح الشعب بأكمله – وفي وقت قصير- ينزح تحت نير العبودية the yoke of slavery . وبرغم ذلك ظل الحاكم خليفة لله ويلقب ب" أمير الله" . وهذا اللقب لم يكن قاصرًا على الحكام المتدينين فحسب، بل كان يلقب به الطغاة الوثنيون ايضا .يقول سالسبورى :".....سوف اذهب ابعد من ذلك ....حتي الطغاة من الوثنيين، الموصومين باللعنة من الأزل، يعدون وزراءً لله ويلقبون بأمراء الله ."(١٢٤)

حكم الطاغية حكم صالح :

ولا غرو أن سالسبورى يزيد الأمر التباسًا ويذهب إلي أن كل قوة مهما كانت فهي خير ما دامت تخرج من الله الذي هو الخير الاسمى . و في بعض الأحيان قد تكون تلك القوة شريرة،وذلك حسب من يمارسها،كذلك من تمارس عليه هذه القوة، ولكن تظل هذا القوة –فى حد ذاتها – خيرة . ويعطي هنا جون مثالًا لإثبات وجهة نظره . يقول :" تماما كما في اللوحة،نجد اللون الأسود أو بعض الاشكال البذيئة، تبدو في حد ذاتها كريهة وقبيحة، في حين إذا نظرنا إليها بوصفها جزءًا من كل أى جزء من اللوحة في مجملها، ستكون الصورة مرضية . لذلك فإن الأشياء التي تبحث في شكل منفرد قد تبدو كريهة وشريرة ولكن عند ربطها بالكل تكون خيرة. لذا فحكم الطاغية هو حكم جيد وصالح، على الرغم من أنه لا يوجد ما هو أسوأ من الطغيان."(١٢٥)*

يتضح – إذن- من الفقرات السابقة كيف أن سالسبوري يقر- بما لايدع مجالًا للشك – أن حكم الطاغية ليس حكمًا فاسدًا ولكنه حكم صالح مقبول ؛ لأنه فى المقام الأول ظل الله فى الأرض ووزير له.

ب-اغتيال الطاغية Tyrannicide :

يعد اغتيال الطاغية حقًا نادت به بعض النظريات السياسية اليونانية كرد فعل لسوء استعمال الحاكم لسلطته . و ظهر اغتيال الطاغية أو المستبد في التاريخ اليوناني القديم نتيجة طبيعية للنظم السياسية التي كانت عليها اليونان القديمة وهو نظام المدينة- الدولة (١٢٦). * ولقد تناول كبار الفلاسفة اليونان موضوع اغتيال الطاغية وحاولوا تبريره ومنهم إكسينوفان وأفلاطون وأرسطو ولقد اعتبره الأخير جزءًا من القانون الطبيعي . وامتد هذا التأثير إلى روما، حيث كان هناك قانون مقدس يجيز لأى مواطن اغتيال الطاغية،وكانت طبقة مجلس الشيوخ هى الأكثر استفادة من هذه المسألة، حتى وسع شيشرون هذا التقليد المدنى وجعله أكثر شمولا مستندًا إلى القانون الطبيعى(١٢٧) .

أما فى العصر الوسيط،فلقد سادت أسطورة "السلطة المطلقة"،وكان ذلك وليد الحاجة إلى خلق نوع من الوحدة بين السلطة والأرض،وسرعان ما أضحت السلطة مرتبطة بالأرض ارتباطًا وثيقا،وأضفيت بركة من السماء على هذه الوحدة(١٢٨). ونتيجة للنزاعات العنيفة التى تشبعت بها أجواء القرن الثانى عشر بين الكنيسة من جهة والإمبراطورية من

جهة اخرى،أعاد رجال الدين تقليد اغتيال الطاغية إلى الحياة من جديد،بعد رميه بتهمة الهرطقة (١٢٩).

ولا شك أن ما مر به سالسبوري من أجواء سياسية عاصفة، قد ألقت بظلالها على موقفه من مسألة قتل الطاغية . وبداية لقد أقر سالسبورى –من حيث المبدأ– أن اغتيال الطاغية فعل قانوني بل ومجيد . ولكنه ارتأى أن ثمة سبيلين لمعاقبة المستبد :

الاول من خلال يد الانسان : فاغتيال الطاغية بيد أحد أفراد الشعب فعل قانوني ؛لأنه تم وفق أمر إلهي صريح، شريطة أن يكون القاتل ليس ملزمًا بالولاء للطاغية .

الثانى من خلال يد الله: فإذا فشلت يد الإنسان فى معاقبة الطاغية،سوف يحاسبه الله بنفسه عما ارتكبه من مفاسد وانتهاكات(١٣٠). *

ويعرض سالسبوري امثلة كثيرة من التاريخ على طغاة اغتيلوا على يد أحد العامة، و كذلك طغاة كانت نهايتهم جراء عقاب الله . ولقد مر سالسبورى بمختلف العصور التاريخية، بدءًا من فرعون مصر قديمًا،مرورًا بالإمبراطور "جوليان " julian في العصور المسيحية، وصولًا إلى " سوين" swain أحد الطغاة فى تاريخ بريطانيا .

ويقدم سالسبورى نموذج الإمبراطور جوليان كمثال لأسوأ طاغية، إذ كان مسيحيًا في الأماكن العامة فقط، أما في الأماكن الخاصة كان زنديقًا وثنيًا. وليس هناك أسوأ من كونه حاول إعادة الديانة الوثنية Pagan من جديد لتحل محل المسيحية (١٣١). كما أنه اضطهد المسيحيين بكل ما أوتي من قو ة.يقول سالسبورى:"أصل إلى العصور الوسطى المسيحية،إذ يتجلى بوضوح ما ألم بالشعب فى هذه الحقبة من ظلم الطاغية الإمبراطور جوليان المرتد والحقير القذر،حيث اضطهد المسيحيين ليس عن طريق المكر والخديعة،ولكن من خلال الاستخدام المفرط للقوة."(١٣٢)

واستمر كذلك حتى حانت نهايته على يد أحد جنوده "مرقوريوس" Mereurius، الذى اغتاله بناء على أمر من مريم العذراء،وأجبره على الاعتراف بأن النصر للمسيح.يوضح ذلك سالسبورى بتفصيل دقيق فيقول:" كان جوليان يقود حملة ضد البارثيين Parthian *،واثناء عودته ذبح الكثير من المسيحيين وقدمهم كقربان لأوثانه... فأستجاب الله لتضرعات وصلوات المصليين والقديسيين ... فاتخذ الله من مرقوريوس أداة له .وبأمر من العذراء المباركة طعن جوليان فى معسكره برمح،وأجبر البائس الأثيم فى لحظاته الأخيرة على الأعتراف بالمسيح الذى طالما اضطهده." (١٣٣) يتضح إذن أن مرقوريوس قد اغتال جوليان وفق أمر إلهى صريح.وتجدر الأشارة إلى أن مرقوريوس برغم كونه جندى مشاة فى جيش جوليان،فإنه لم يقم بقتله بوصفه جنديًا،بل بصفته أحد أفراد الشعب .وبهذا يحدد جون،على وجه الدقة،الشخص المناسب للقيام بمهمة الاغتيال،فمن الممكن أن يخرج من صفوف العسكريين أوالسياسيين،ولكن يقدم على هذه المهمة بصفة مغايرة،وهى كونه مواطنًا من العامة(١٣٤).

ويعطى سالسبورى نموذجًا آخرلاغتيال الطاغية على يد أحد أفراد الشعب، وذلك من تاريخ بريطانيا.حيث قتل الطاغية سوين على يد الشهيد أدموند،حيث كلف الله أدموند بقتل الطاغية،لمعاقبته على جنون الطغيان.ولقد كان سوين قد استولى على جزء كبير من بريطانيا وجعله مكبًا للنفايات،واضطهد أتباع المسيح بشكل متكرر.ولم يكتف بذلك بل أثقل كاهلهم بضرائب لا سبيل لتحملها،وإخضع العديد من الممتلكات للضريبة،ومن بينها ممتلكات أدموند.ولم تفلح تضرعات أدموند وتوسلاته لرفع هذه الضرائب عن

ممتلكاته.وبعد عدة محاولات فاشلة لإقناع سوين،حمل أدموند سيفه وانهال على سوين بالطعنات حتى أرداه قتيلًا بناء على أمر إلهى صريح(١٣٥) .

أما إذا فشل الانسان فى ردع الطاغية،فإن الله يتكفل بمعاقبته بالوسيلة التى يراها . وذكر سالسبورى ما حدث لفرعون مصر كخير مثال على ذلك،إذ عاقبه الله على اضطهاده لبني إسرائيل بكل السبل،وجعل منه عبرة لكل طاغية طغى وتجبر.يقول جون:"لقد ظلم فرعون شعب الله،وعاقبه الله ... بضربات متتالية خطيرة... أدرجت بعضها فى قائمة مرتبة:

أولا:طوفان الدم الأحمر،ثانيا: الوباء الطينى من الضفادع.....لا يعنينى مجرد تأليف السطور بل يعنينى فقط النقطة الخاصة بالضربات التى لحقت بمصر فى عهد فرعون .وبرغم ذلك فإن غضب فرعون لم يتحول جانبا عن شعب الله، بل لاحقهم بعد رحيلهم بعرباته وفرسانه،فغرق هو ومن معه .لقد جعل الله من الماء جدارًا لحماية الشعب،وكذلك سلاحًا للإطاحة بالطاغية ."(١٣٦)

ويتضح من العرض السابق أن سالسبوري لم يقدم دعوة صريحة إلى اغتيال الطاغية وذلك على عكس ما ذهب إليه كثير من المفكرين ومنهم كوبلستون، حيث رأى أن جون قد أقر صراحة بقتل الطغاة لمناهضة الطغيان للصالح العام (١٣٧). وكل ما تحدث عنه سالسبوري في هذا الشان هو مجرد رصد لنهاية الطغاة عبر مراحل التاريخ المختلفة وهو يقر بذلك صراحة حيث يقول :"ستكون مهمة شاقة وطويلة لو حاولنا تذكر سلسلة الطغاة الوثنيين، فلن تكفي حياة واحدة لرصد هذه القائمة ... وأرى أنه بإمكاني عنونة هذا الموضوع ب" نهاية الطغاة " End of Tyrants (١٣٨).

الخاتمة:

حاولنا فيما سبق عرض الملامح العامة لفكر سالسبورى السياسى، من خلال الوقوف على حقيقة موقفه من ثلاث مشكلات،الأولى:العلاقة بين الكنيسة والدولة،والثانية:مفهوم الدولة وهيكلها،والثالثة:اغتيال الطاغية.ومن خلال هذا العرض يمكننا الجزم،بما لايدع مجالًا للشك، بأن فلسفة جون سالسبورى السياسية لم ترق لمستوى االمعالجات السياسية التى قدمها السابقون عليه وكذا المعاصرون له،لمختلف المشكلات السياسية.(١٣٩) ولا يمكن وصف فلسفة جون السياسية ب"معالجة سياسية"، بذلك يسقط زعم بعض المفكرين بأن جون كان خير منظرًا للفلسفة السيا سية فى عصره لعدة أسباب، منها:

أولًا:لم يتبع سالسبورى فى تناوله لفكره السياسى،منهجًا محددًا وواضحًا يمكنه من الوقوف على مختلف أبعاد الإشكاليات السياسية؛ وبالتالى إيجاد حلول ناجعة لمثل هذه

الإشكاليات،وذلك على غرار ما يفعله الفلاسفة السياسيون. ويمكننا القول إن المنهج الوحيد الذى اتبعه جون عند تناوله لمختلف المشكلات السياسية هو منهج السرد التاريخى.

ثانيًا:ما اتسم به عرض سالسبورى لأفكاره السياسية من عشوائية وعدم ترتيب .واتضح ذلك من خلال جميع الأفكارالرئيسية التى عرضها جون فى مؤلفه رجل الدولة،إذ يعرض الفكرة الواحدة من خلال شذرات متفرقة،وقد يتخلل هذه الشذرات الحديث عن أفكار اخرى،وهكذا.وللوقوف على ماهية طرح جون لموضوع ما فى مؤلف من مؤلفاته، يجد الباحث نفسه مضطرًا إلى تتبعه فى جميع صفحات هذا المؤلف.

ثالثًا:أن فلسفة سالسبورى السياسية،ليست إلا عرضًا لمختلف المشكلات السياسية التى فرضتها طبيعة عصره،دون أن يقدم أية حلول مبتكرة لهذه المشكلات،حيث اكتفى بالإستشهاد المتكرر بالحلول التى قدمها السابقون عليه لمثل هذه التساؤلات السياسية،ولا نكاد نجده يقدم رأيًا واضحًا وصريحًا إزاء أى مسألة سياسية.ولقد اتضح ذلك من خلال تعاطيه مع مشكلة العلاقة بين الكنيسة والدولة،إذ سار –إلى حد بعيد– على خطى القديس أوغسطين فى تقديره للكنيسة ومكانتها،وجعل سلطتها فى المرتبة الأولى قبل سلطة الدولة .وحين تحدث عن الدولة وهيكلها، لم يقدم أى جديد واكتفى بالإسترشاد بمعالجة شيشرون لهذا الموضوع . ورأينا كيف أنه عندما تناول مسألة إغتيال الطاغية، لم يقدم حلًا مبتكرًا وجريئًا –كما زعم بعض المفكرين – لتلك المسألة وأدركنا مقدار الإلتباس الذى وقع فيه جون إزاء هذه المسألة،فهولم يقف عند حد الإستشهاد بالحلول التى عالج بها السابقون عليه تلك المسألة،والتى طالبت بضرورة قتل الطاغية والتخلص من جميع الطغاة؛بل نجده أيضًا –من ناحية أخرى – مجد الطاغية واصفًا إياه بكونه وزيرًا لله،لذا وجبت طاعته والإنصياع له. ولعل أجرأ ما قام به جون هو طرح قضية اغتيال الطاغية فى مثل تلك الأجواء السياسية التى سادت عصره.

مجمل القول،لقد كان سالسبورى عقلية مستنيرة ويتمتع بقدر وفير من الثقافة،لكن ذلك كله هذا لم يؤهله لوضع نظرية جريئة ومبتكرة فى الفلسفة السياسية فى عصره،ومن ثم لم يجعله مبدعًا لنظرية سياسية .

Abstract

Political Philosophy of Jhon of Salisbury (Critical Study)

By Abeer Abd El-Awii

Jhon of Salisbury was the most famous philosopher in the twelveth century

He was distinguished as a brilliant writer with a portfolio of antiquity, Greek and Roman novels. The problem of this study is to find out what Jhon of Salisbury s political philosophy is, and we have been able to do so by analyzing and evaluating his political writings. The comparative analytical approach was the most appropriate approach to the study. We have already

realized his position on three problems:First: the relationship between church and state, and second: the concept of the state and its structure. The third is the assassination of the tyrant. Through this presentation, we can assert, without any doubt, that the political philosophy of Jhon of Salisbury did not live up to the level of political manipulations provided by the former.

قائمة الهوامش:

١-اميل برهييه،تاريخ الفلسفة، ترجمةطرابيشى،ج٣،دار الطليعة والنشر،بيروت،١٩٨٨،ص .١٠١

2 -Johannes De Saresberia, Jhon of Salisbury, Catholic encyclopedia, new Aduent,2012,P 1.

3-Quetin Taylor, Jhon of Salisbury,the policraticus,and political thought,Rogers state university,p155

4-Jhon of Salisbury,the letters of Jhon of Salisbury,vol.one,the early letters(1153-1161),edited by W.J.Millor and H.E.Butler,Claren Don press,Oxford,p xiv.

٥-كوبلستون،تاريخ الفلسفة من أوغسطين إلى دنس سكوت،المجلد الثانى،القسم الأول،ترجمة امام عبد الفتاح امام واسحق عبيد،المركز القومى للترجمة،القاهرة،٢٠١٥،ص.٢٣٨

6-CaryJ.Nedman,Acompanion to Jhon of Salisbury, Brill companions to the chrestian tradition ,ch8,Brill, p258.

٧- Quetin Taylor,op.cit,p133

8 -راسل،تاريخ الفلسفة الغربية،الكتاب الثانى الفلسفة الكاثوليكية،ترجمة زكى نجيب محمود،الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة،٢٠١٠،ص١١

9 - Cary J.Nedman,Acompanion to Jhon of Salisbury ,op.cit,p 258

10- Cary J.Nedman and Karen Boller, Jhon of Salisbury ,Standford Encyclopidia of Philosophy,Standford university,2016,P1.

11-Ibide,p1

١٢-Brian D.FitzGerald ,Medieval Theories of Education:Hugh of St Victor and Jhon of Salisbury,Oxford Review of Education,2010,580.

13-Jhon of Salisbury, The letters ,op.cit,P xix .

14-Brian D FitzGerald, op.cit,P 580 .

15- QuetinTaylor,op.cit ,P 136.

16-Ibid,P 136.

17- Brian D FitzGerald,op.cit,P 580.

*يترجم اميل برهييه Metalogican بهذا االمعنى.انظر اميل برهييه،سبق ذكره،ص ١٠١.

١٨ - Abigail E.De Hart,John of Salisburys Metalogican and Equality of liberal arts education,Grand Vally state university,Dehartab,P 1.

19- Johannes De Saresberia, op.cit,P 1.

20 - Brian D. .FitzGerald,op.cit ,P 580.

21- اميل برهييه،سبق ذكره، ص١٠١

22- Quetin Taylor,op.cit,P 133 .

٢٣ -جورج سباين،تطور الفكر السياسى،ترجمة حسن جلال العمروسى،مراجعة محمد فتح الله الخطيب،ج٢،الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة،ص١٥٧-١٥٨.

٢٤-Karen Boller ,Standford Encyclopidia of Philosophy,op.cit,P10.

٢٥-Cary J.Nedman,Acompanion to Jhon of Salisbury ,P 258.

26 – محمد ممدوح عبد المجيد،فلسفة القانون بين الاتجاه الطبيعى والاتجاه الوضعى،افلاطون وشيشرون نموذجا،رسالة دكتوراة،كلية الاداب،جامعة القاهرة،٢٠١٤،ص ١٨٢.

27-روبرت م .ماكيفر،تكوين الدولة،ترجمة حسن صعب،دار العلم للملايين،١٩٨٤،ص ٨٧:٨٩.

28-Cicero ,The laws,trans by Nial Rudd,Oxford university,New York,1998, B 2,10,11,12, ,P124-125-126

نقلًا عن محمد ممدوح عبد المجيد، سبق ذكره، ص ١٣٥.

29 –جورج سباين،سبق ذكره،ص ١٥٨.

30- Jhon of Salisbury,Policraticus,The statesman s Book of John of Salisbury,trans by John Dickinson,New York,1963, B iv,ch ii,P60

٣١–كوبلستون،سبق ذكره،ص ٢٣٨،٢٣٩.

32-Irene .A.o Daly,An Assessment of political symbolism of the city of Rome in the writings of John of Salisbury,Medieval Encounters,Brill,2011,P513

٣٣–اميل برهييه،سبق ذكره،ص ١٠٥

34- Elizabeth Asmis,Cicero on natural law and the laws of the state,univ.,of California press,Jastor,2008, P2

35- Walter Nicgorski, Cicero and the natural law,univ., of Notre Dame,the witherspoon Instituts,2011,P3

36- Elizabeth Asmis,op.cit,P2

37- Jhon of Salisbury of Salisbury, the letters,op.cit, P xxi .

38 -Jhon of Salisbury,Policraticus,op.cit,B viii,ch xvii,P244

39 –كوبلستون،سبق ذكره،ص ٢٣٩

* سيتضح موقف جون من القانون اكثر عند الحديث عن الدولة واركانها.

*تجدر الإشارة إلى ان كثيرًا من الفلاسفة اللاحقين علي سالسبوري لم يكن لهم نفس هذا الموقف المحب للكنيسة فنجد ميكافيلي –فيلسوف عصر النهضة – يحط من شأن الكنيسة وقساوستها،بل ويتهمهم بتحمل المسؤلية الكاملة في قلة تدين الإيطاليين وتدهورهم الأخلاقي، وذهب ابعد من ذلك إذ جعلهم مسئولين عما وصلت إليه الاحوال في إيطاليا من ضعف وانقسامات .

أنظر : اميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من افلاطون إلي ماركس، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠١٣، ص٧٨.

40- Karen Boller,Standford Encyclopidia of Philosophy,op.cit,P13

41– انظر : أوغسطين،خواطر فيلسوف فى الحياة الروحية، فى الحياة الروحية،نقلها إلى العربية يوحنا الحلو،التراث الروحى،دار الشرق،بيروت،١٩٨٨ص ٦٩–٧٠.

42- Jhon of Salisbury,Policraticus,op.cit,B v,chv,P100

43- Ibid,B i v,chiii, P 62.

44- Ibid,Bi v,chiii,P 62.

45 -Ibid,B v,chv,P101

46- Ibid,B v,ch v,P100,101.

47-Ibid,Bi v,chi ii,P62.

48-Ibid,Bi v,chi ii,P62.

49– توماس هوبز،اللفياثان،الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة،ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب،هيئة ابوظبى للثقافة والتراث(كلمة) ودار الفارابى،الامارات العربية المتحدة، ٢٠١١،ص ٤٦٧

50– المرجع السابق،ص ٥٢٢.

51-Marcus tullius cicero,the political works of Marcus tullius cicero,Treatise on the commonwealth,vol.1,trans by francis barham,London,P 20

٥٢- Walter Nicgorski, Cicero Skepticism and his Recovery of political philosophy ، Palgrave Macmillan,Noter Dam,2016,p155:165.

٥٣ –Cicero, on the commonwealth and on the laws ,edited by James E.G.Zetzet,Cambridge,1997,P19.,

٥٤ -Irene .A.o Daly,op.cit ,P 520.

55-Cary J.Nedman, Standford Encyclopidia of Philosophy,op.cit,P12

*–بلوتارخ هو فيلسوف ومؤرخ رومانى من أصل يونانى(٤٦–١٢٠م)له عدة كتابات سياسية واعتمدعليه جون فى الحديث عن الهيكل المكون لشكل الدولة انظر:

Irene .A.o Daly,op.cigt ,P 521

56- Jhon of Salisbury,Policraticus,op.cit,B v,ch ii,P90

57- Karen Boller,op.cit ,P12

58-Ibid,P13

59- Jhon of Salisbury,Policraticus,op.cit,Bv,chii,P91
*تحدث سالسبورى باستفاضة عن الجنود والقوات العسكرية فى مؤلفه "رجل الدولة" .وللمزيد انظر: Authourity
of The twelfth John D.Hosler,John of Salisbury,Military
Century Renaissance,Brill,Leiden, Boston,2013.
٦٠- Cary J.Nedman, Standford Encyclopidia of Philosophy,op.cit ,P13
61-Jhon of Salisbury,Policraticus,op.cit,Bv,chii,P91
62- Karen Boller,Standford Encyclopidia of Philosophy,op.cit,P13
63 -Jhon of Salisbury,Policraticus,Bv,chii,P91
*--يفرق مكيافيلي بين نوعين من الامارات، إمارة مدنية وإمارة كنسية . ويري ان الإمارة الكنسية ظهرت في مرحلة العصور الوسطي، وفي هذا النوع من الامرات لا يجد الامير صعوبة تذكر في الحفاظ علي امارته، حيث انها محكومة بعادات دينية قديمة قوية تمكنه من الاحتفاظ بامارته ما دام قادرًا علي الحياة ومواصلة الحكم . وهذا النوع من الامراء يحكمون ولاياتهم بكل اريحية فهم غير مطالبين بالدفاع عن هذه الولايات ولا علي الحفاظ علي العلاقة بينهم وبين رعاياهم . وبرغم ذلك كله لايفقدون اماراتهم ولا يستاء منهم رعاياهم . ومن هنا يرى ميكافيلى أنها الأمارات الوحيدة الآمنة والسعيدة،لأن الله يحميها ويحفظها.
انظر :ميكافيلى،كتاب الأمير،ترجمة أكرم مؤمن،مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع،القاهرة،٢٠٠٤ ص ٦٣
64-Jhon of Salisbury,Policraticus,op.cit,B iv,chi,p59
65- Ibid,B v,ch vi,P101.
٦٦- Ibid,B v,ch vi,P101.
٦٧Ibid,B v,ch vi,P101.
68- Ibid,B iv,ch ii,P 59-60
69 احمد خليل إبراهيم، القضايا النقدية في محاورة الجمهورية عند شيشرون، رسالة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة عين شمس،٢٠٠٤،ص٥٤
70 –أوغسطين،مدينة الله للقديس أوغسطين، المجلد الأول،الكتاب الثانى،نقله للعربية يوحنا الحلو،دار المشرق،بيروت،٢٠٠٦،ص ٩١.
71- Jhon of Salisbury,Policraticus,B iv,ch ii,P60.
72-Cary J.Nederman,Line ages of European political thought,The catholic univ.,of Ameri ca press,2009,P122.
73-Cicero, on the commonwealth and on the laws ,op.cit ,1997,P48.
74– ميكافيلى،سبق ذكره،ص ٥٧
75- Jhon of Salisbury,Policraticus,op.cit,B iv,ch ii,P60.
76 Ibid,B iv,ch ii,P60..
77- Ibid,B iv,ch ii,P60
78- Cary J.Nedman, Standford Encyclopidia of Philosophy,op.cit,P 13.
79- Jhon of Salisbury,Policraticus,op.cit,B iv,chvi,P 70
80 - Ibid,B iv,chvii,P 74
81-Ibid,B iv,chvii,P 75
82- Ibid,B iv,chviii,P 80.
83- Karen Boller,Standford Encyclopidia of Philosophy,op.cit,p13-14.
84- Jhon of Salisbury,Policraticus,op.cit,B iv,chviii,P 77.
85 –مكيافيلى،سبق ذكره،ص ٨٥.
86- Jhon of Salisbury,Policraticus,op.cit,B iv,ch iv,P 65.
*–انتبه أوغسطين لخطورة الكبر على الإنسان، وأثره الكبير فى ارتكاب الأثام والخطايا.يقول:"إن الكبر بنظرى لخطيئة كبرى لأنها اسقطت الملاك،وكبيرة هى لأنها صيرت الملاك شيطاناً،واوصدت بوجهه إلى الأبد ملكوت السماوات."
انظر :أوغسطين،خواطر فيلسوف، سبق ذكره،ص٣١٧.
٨٧- Jhon of Salisbury,Policraticus,op.cit,B iv,chviii,P 75-76.
٨٨- Ibid,Bv,chxi,P126.
*ونلاحظ أن سالسبورى يعرض هذه الفكرة كغيرها من أفكاره دون أدنى تنظيم أوترتيب .

٨٩- Ibid,Bv,chxi,P126.
٩٠-Ibid,Bv,chxi,P126.
٩١- Ibid ,Bv,chxi,P126.
٩٢- Ibid ,Bv,chxi,P126.
*سفر الحكمة هو احد اسفار الكتاب المقدس القانونية الثانية،ويأتى من حيث الترتيب بعد سفر الإنشاد.وهو من الاسفار الشعرية،ويتكون من ١٩ اصحاح .
93- Eccli,chx,P1-2.
نقلًا عن Jhon of Salisbury,Policraticus.op.cit,Bv,chxi,P126
94-Ibid,Bv,chxi,P127.
95-Ibid,Bv,chxi,P127.
96- Irene .A.o Daly,op.cit ,P522.
97 Jhon of Salisbury,Policraticus,op.cit,Bv,chxi,P116 .
98- Irene .A.o Daly,op.cit , P522.
99- Jhon of Salisbury,Policraticus,op.cit,Bv,chxi,P116 .
100- Cary J.Nedman, Standford Encyclopidia of Philosophy,op.cit ,p15
101- Jhon of Salisbury,Policraticus,op.cit,Bv,chxi,P117.
102 - Irene .A.o Daly,op.cit ,P527.
103- عبد الرحمن الكواكبى،طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد،تحقيق محمد عمارة،دار الشروق،القاهرة،٢٠٠٧،ص ٢٣.
104 -Cicero,on the commonwealth and on the laws ,P 48.
105-عبد الرحمن الكواكبى،سبق ذكره،ص ٢٤.
106-انظر .Jhon of Salisbury,Policraticus,Bviii,chxvii,P243
107- Jhon of Salisbury,Policraticus,B vii,chxvii,P213.
108- Jhon of Salisbury,Policraticus,Bviii,chxvii,P254.
109- Cicero,on the commonwealth and on the laws ,P 48.
*كعادته لم يخصص جون جزء بعينه للحديث عن اساس الطغيان ومصدره،ولا نجد سوى شذرات متفرقة فى الكتاب السابع والكتاب الثامن من policraticus
110 -Augustin,De Lib,Abit,I.
نقلا عن .Jhon of Salisbury,Policraticus,B vii,chxvii,P212
111- Jhon of Salisbury,Policraticus,B vii,chxvii,P212.
112 - Ibid,B vii,chxvii,P21 .
113 -Augustine,De Civ,Dei,iv.p15.
نقلا عن .Jhon of Salisbury,Policraticus,Bviii,chxvii,P244
114 - Jhon of Salisbury,Policraticus,Bviii,chxvii,P244.
١١٥-Ibid,Bviii,chxviii,P244.
١١٦- Cary J.Nedman,Acompanion to Jhon of Salisbury ,op.cit,P266.
١١٧- Jhon of Salisbury,Policraticus,Bvii,chxvii,P213.
١١٨ – امام عبد الفتاح امام،الطاغية،عالم المعرفة، الكويت،١٩٩٤،ص١٣٤.
١١٩- Jhon of Salisbury,Policraticus,Bvii,chxvii,p232.
١٢٠- Karen Boller,Standford Encyclopidia of Philosophy,op.cit,p 15-16
*- لقد سار جون على نفس خطى أوغسطين فى الإستشهاد على الأباطرة المستبدين ونهايتهم المحتومة من خلال عرض نماذج من مراحل التاريخ المختلفة.
انظر مدينة الله للقديس اوغسطين، سبق ذكره،ص ٢٧٠-٢٧١ .
١٢١- Jhon of Salisbury,Policraticus,Bviii,chxviii,P262.
122-Ibid,Bviii,chxviii,P267.
123- Ibid,Bviii,chxviii,P253.
124 - Ibid,Bviii,chxviii,P253-254.
١٢٥- Ibid Bviii,chxviii,P254.
* فى هذا الصدد يقدم سالسبورى عدة امثلة من الآيات التى ذكرت فى اسفار اليهود

١٢٦ – عبد الوهاب الكيالى،موسوعة السياسة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ج١، ص٢١٧.
*- ظهر هذا النظام في بلاد اليونان وتكون فيه السلطات موزعه بين سلطتين متساويتين ويتكون من مجموعة من الموظفين ومجلس الشيوخ وثلاث انواع من المجالس العامة . وتنظيم كهذا شأنه يساعد علي مواجهة الغزوات والمؤامرات التي قد تتعرض لها الدولة بصورة مفاجئة؛ لذا نص الدستور علي أنه يحق وقف سلطات كل الحكام في اوقات الطوارئ، علي أن يسلم الحكم لشخص واحد. وجرت العادة علي أن يكون هذا الشخص قائدًا عسكريًا، وتسلم له السلطة في تلك الظروف الإستثنائية وتنتهي بإنتهائها، علي أن تتم محاسباته علي الكيفية التي تعاطي بها مع تلك الظروف التي مرت بها البلاد . انظر عبد الرحمن الكواكبي،سبق ذكره، ص٢٨٠.
127 – عبد الوهاب الكيالى،سبق ذكره، ص٢١٧–٢١٨.
وانظر إمام عبدالفتاح إمام، سبق ذكره، ص ٦٤–٦٥ .
128– الكواكبى،سبق ذكره، ص٢٨١.
129– عبد الوهاب الكيالى،سبق ذكره،ص ٢١٨.
130 – انظر: Jhon of Salisbury,Policraticus,Bviii,ch xx-xxi,P262;267
* كعادته لايراعى جون الترتيب فى عرض افكاره،فنجده يتحدث أولا عن عقاب الله للطغاة، ثم يتحدث عن اغتيال العامة للطاغية.برغم أن الفعل الثانى يأتى بعد الأول،فعقاب الله للطاغية يكون لاحقا على فشل العامة فى معاقبة الطاغية.
١٣١- Cary J.Nedman, Standford Encyclopidia of Philosophy,op.cit ,P 17.
132- Jhon of Salisbury,Policraticus,Bviii,chxxi,P 269.
*البارثيون هم أحد الشعوب الإيرانية القديمة.
133- Ibid,Bviii,chxxi,P 269
134- Karen Boller,Standford Encyclopidia of Philosophy,op.cit,P17
135- Jhon of Salisbury,Policraticus,B viii,ch xxi,P 2 76
١٣٦-Ibid,B viii,ch xxi,P 267-267
١٣٧– كوبلستون، سبق ذكره، ص٢٤٠
١٣٨- Jhon of Salisbury,Policraticus,Bviii,chxx,P 262
١٣٩–انظر مقدمة كتاب :
Joseph B.Pike,Frivolities of Courtiers and Footprints of Philosophers, Jhon of Salisbury, Octagon books, New York,1972.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا:المصادر باللغة الاجنبية:

١-Cicero on the commonwealth and on the laws ,edited by James .G.Zetzet,Cambridge,1997.
٢- Jhon of Salisbury,Policraticus,The statesman's Book of John of Salisbury,trans by John Dickinson,New York,1963.
٣-Jhon of Salisbury,the letters of Jhon of Salisbury,vol.one,the early letters(1153-1161),edited by W.J.Millor and H.E.Butler,ClarenDon press,Oxford.

ثانيًا:المصادر باللغة العربية:

١ –أوغسطين،مدينة الله للقديس أوغسطين، المجلد الأول،الكتاب الثانى،نقله للعربية يوحنا الحلو،دار المشرق،بيروت،٢٠٠٦.
٢–أوغسطين،خواطر فيلسوف، فى الحياة الروحية،نقلها إلى العربية يوحنا الحلو،التراث الروحى،دار الشرق،بيروت،١٩٨٨.
٣– توماس هوبز،اللفياثان،الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة،ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب،هيئة ابوظبى للثقافة والتراث(كلمة) ودار الفارابى،الامارات العربية المتحدة، ٢٠١١.
٤–ميكافيلى،كتاب الأمير،ترجمة أكرم مؤمن،مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع،القاهرة،٢٠٠٤.

ثالثًا:المراجع باللغة الانجليزية:

1-Abigail E.De Hart,John of Salisburys Metalogican and Equality of liberal arts education,Grand Vally state university,Dehartab.
2-Brian D.FitzGerald ,Medieval Theories of Education:Hugh of St Victor and Jhon of Salisbury,Oxford Review of Education,2010.
3-CaryJ.Nedman,Acompanion to Jhon of Salisbury,Brill companions to the chrestian tradition,ch8,Brill.
4-Cary J.Nederman,Line ages of European political thought,The catholic univ.,of Ameri ca press,2009.
5- Elizabeth Asmis,Cicero on natural law and the laws of the state,univ.,of California press,Jastor,2008.
6-Irene .A.o Daly,An Assessment of political symbolism of the city of Rome in the writings of John of Salisbury,Medieval Encounters,Brill,2011.
7-John D.Hosler, John of Salisbury, Authourity Military of The twelfth
Century Renaissance,Brill,Leiden, Boston,2013.
8-Joseph B.Pike,Frivolities of Courtiers and Footprints of Philosophers, Jhon of Salisbury, Octagon books, New York,1972.
9-Marcus tullius cicero,the political works of Marcus tullius cicero,Treatise on the commonwealth,vol.1,trans by francis barham,London.
10-Quetin Taylor, Jhon of Salisbury,The policraticus and Political thought,Rogers state university.
11- Walter Nicgorski, Cicero and The natural law,univ., of Notre Dame,the witherspoon Instituts,2011.
12-Walter Nicgorski, Cicero Skepticism and his Recovery of political philosophy ، Palgrave Macmillan,Noter Dam,2016.

رابعًا:المراجع باللغة العربية:

١ – امام عبد الفتاح امام،الطاغية،عالم المعرفة، الكويت،١٩٩٤.
٢–اميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من افلاطون إلي ماركس، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.
٣–اميل برهييه،تاريخ الفلسفة، طرابيشى،ج٣،دارالطليعة والنشر،بيروت،١٩٨٨.
٤–كوبلستون،تاريخ الفلسفة من أوغسطين إلى دنس سكوت،المجلد الثانى،القسم الأول،ترجمة امام عبد الفتاح امام واسحق عبيد،المركز القومى للترجمة،القاهرة،٢٠١٥.
٥ –جورج سباين،تطور الفكر السياسى،ج ٢،ترجمة حسن جلال العمروسى،مراجعة محمد فتح الله الخطيب، الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة.
٦– راسل،تاريخ الفلسفة الغربية،الكتاب الثانى الفلسفة الكاثوليكية،ترجمة زكى نجيب محمود،الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة،٢٠١٠.
٧– روبرت م .ماكيفر،تكوين الدولة،ترجمة حسن صعب،دار العلم للملايين،لبنان،١٩٨٤.
٨– عبد الرحمن الكواكبى،طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد،تحقيق محمد عمارة،دار الشروق،القاهرة،٢٠٠٧.
٩– عبد الوهاب الكيالى،موسوعة السياسة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،القاهرة.

خامسًا: المجلات العلمية باللغة الإنجليزية:

١- Cary J.Nedman and Karen Boller, Jhon of Salisbury,Standford Encyclopidia of Philosophy,Standford university,2016.
٢-Johannes De Saresberia, Jhon of Salisbury, Catholic encyclopedia, ,new Aduent,2012.

سادسًا:الرسائل:

1-احمد خليل إبراهيم، القضايا النقدية في محاورة الجمهورية عند شيشرون، رسالة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة عين شمس،٢٠٠٤.

2- محمد ممدوح عبد المجيد،فلسفة القانون بين الاتجاه الطبيعى والاتجاه الوضعى،افلاطون وشيشرون نموذجًا،رسالة دكتوراة،كلية الاداب،جامعة القاهرة،٢٠١٤.